(رواية)
شق النور
بلسم عابد
شبكة الألوكة
www.alukah.net

شق النور

بسم

اهداء

اهدي هذه الحروف

إلى أصحاب العيون البريئة

إلى كل من إنغمس مع الإثارة

إلى كل من رافقه الخيال إلى عالمي

لا ندري إن كنا نسير على الدرب الصحيح ... لكن نيتنا في ذلك و أملنا في كل

خير ... إيماننا بمن علم سرائرنا ... بهذا نعيش و نواصل المسير

بلسم

دنيال

تدور أحداث حكايتنا في لندن أشهر المدن البريطانية بين جدران تلك المدينة في أحد البيوت المتوسطة و التي توحي عن سكان ميسوري الحال عائلة صغيرة الأم و ابنها الشاب... شاب يحمل الجنسية البريطانية بفخر و هو لم يحمل من دم البريطانيين قطرة.. تفرع أصله عن أب لبناني و أم تونسية...و قد وقع هذا الوصل بينهما إثر حادثة تفجير كبيرة حدثت في محل تجاري ضخم... هناك حدث اللقاء بين الضابط مازن سجنان و العاملة سيرين وجدي ... حينما ظن الجميع أن عملية الإنقاذ قد تمت كاملة و غادروا عاد الضابط مازن في عملية تفقد أخيرة ليرتاح باله و هناك سمع أنين سيرين بين ركام الحطام فقام بإخراجها من هناك بسرعة و أخذها إلى المستشفى لتعالج و أثناء عنايته بها وقع الاثنين في حب بعضهما و تزوجا و كان دانيال ثمرة هذا الحب ...

مهما رسمنا الابتسامات و تظاهرنا باللامبالاة فالماضي يجذبنا للوراء بذكريات حزينة ... قد لا يصدق الغرباء عن قلوبنا تلك المشاعر التي تسكننا و لكن نادرون هم من يسكنون قلوبنا و يرافقون مشاعرنا و يرتبطون معها بصداقة لدرجة أنهم يتحكمون في أحزاننا التي ترتعب من وجودهم فلا تحضر بحضورهم ... و لكن الأسوأ من ماضينا الحزين هو حاضرنا الخال ممن يقرئون قلوبنا...

وقف أمام المقبرة على جفنيه بضع قطرات من الدموع و ذاكرته تجاهد لتذكر تلك الحادثة الأليمة التي حدثت قبل 14 سنة...كان ذلك اليوم تعيسا عليه و هو يشاهد جثة والده مكفنة داخل الكنيسة و القس يتلو كلمات لم ينتبه إليها لأن كل تركيزه

كان على قسمات وجه أبيه و يخيل إليه أنه في أي لحظة سيتكلم و سيقول بأنه لم يمت... في كل مرة يترجى الإله أن يعيد روحه و يتحرك والده ليثبت للناس أنه لم يمت و لن يغادر... ولكن خاب أمله... ثم مرر نظره إلى والدته التي كانت تكتسي بالسواد و تبكي بحرقة و هي مستسلمة للأمر الواقع تماما... تقدم منها بخطى ثقيلة يخرج صوته الهامس بصعوبة تغلبه غصة أطلقت عنانها دموع عينيه و هو يقول لها:ألم تقولي لي أن الرب يحقق كل ما نطلبه... لقد طلبت منه أن يعيد أبي لكنه لم يعد ... لماذا يا أمي؟

ضمته بقوة و زادت من صوت بكائها و هي تقول: هذا غير ممكن يا بني هذا مستحيل...

- إذا أنتي كذبتي علي ... ليس هناك اله يحقق طلباتنا...

و غادر الكنيسة مسرعا و قد رسخت في ذهنه تلك الفكرة و هو في عمر ال 8 سنوات ...

منذ ذلك الوقت دخل الشك رأس دانيال الصغير ... فكرة الإله ... هل حقا يوجد إله؟؟ هل هذا الكون و هؤلاء البشر من صنع إله؟؟ ...

كيف يصدق الناس هذا الأمر و هو مجرد فكرة تناقلتها الأجيال منذ آلاف السنين ... أين الدليل على صحة كل ذلك؟؟ ... هم حتى لم يروا الله مرة واحدة ... فكيف يتأكدون من أنه هو حقا موجود؟؟

كل هذه الأسئلة راودت عقل دانيال أثناء حزنه على فراق والده ... و تضاعفت هذه الشكوك مع قدوم مرحلة المراهقة ... مما جعله يبحث كثيرا في

مدونات الملحدين عن تفسير مقنع لهذا الكون ... لم تقنعه فكرة الخلق ... لم يقتنع أبدا بوجود قوة عظيمة تحرك الكون ... لابد أن هناك تفسير آخر ... أكثر واقعية ...

انكب دانيال على محموله في صمت و سرية يبحث في تعمق شديد بين صفحات العلماء و الفلاسفة حتى وجد الإجابات التي يريدها ... الإجابة التي أقنعته و جعلته يتحرر من شكوكه ... أصبح بالنسبة له هذا الكون قد تكون لحاله و انه مجموعة من الذرات تراكمت و تكونت في شكل جماد و حيوان و شجر و أوطان و منها ايضا خلق الإنسان ... مثلما تتكون الغيوم في السماء و كل هذا بالنسبة له كل هذا اكثر منطقية من فكرة وجود اله يخلق كل ذلك و لا يظهر نفسه للناس فإن كان للكون خالق فمن خالق هذا الخالق و هكذا انطلق دانيال في حياته الجديدة بتلك الأفكار ... لا حياة بعد الموت ليس هناك إلاه ... ليس هناك عقاب ...

...سيعيش كما يريد ... لن يقيد نفسه بأي معتقد ... سيكون حرا و سيتصرف على هواه فحسب ...

و هذا ما أصبح عليه دانيال منذ ذلك الوقت

و ضع دانيال تلك الزهرة البيضاء على قبر والده كما اعتداد و مسح دموعه و رحل تاركا وراءه كل تلك الذكريات و يقينه بأنه لم يعد هنالك أي سبيل للتواصل مع أبيه

... لم يكن ذلك القبر بالنسبة له سوى ذكرى من والده الذي أحبه كثيرا في صغره ...

لم تكن زيارته سوى استرجاع لذكرياته و شوق لها...

غادر المقبرة...

و عاد إلى حياته كالتي اعتاد عليها ...

وصل إلى الجامعة يستقبل نظرات الحب و الغرام من الفتيات المفتونات بوسامته ...تعلو وجهه ابتسامة غرور و يرد على نظراتهن و همساتهن بغمزات تذيب قلوبهن..انه دانيال الصغير كبر و أصبح شابا فتيا معشوقا من قبل الفتيات... طوله البارز و شعره الأسود و بشرته البيضاء مع عينيه الخضراء و ملامحه الشرقية المفعمة بالرجولة و التي تميزه عن كل ما حوله كل ذلك جعلوا منه شابا ترغب فيه كل فتاة تقابله... و لم يكن هو يرغب بخذلانهن بل كان يجاهد نفسه لتحقيق رغباتهن معا...فيمضي النهار مع فتاة و أول الليل في الملهى مع أخرى و ينهي ليله مع فتاة أخرى...

...

في جهة أخرى من العالم... تحديدا في تونس..أنين قادم من غرفة صغيرة في أحد البيوت في حي من أحياء مدينة نابل...هناك فارق النوم جفون تلك الفتاة و رافقتها دموعها حتى ابتلت وسادتها التي كانت تعانقها...

فما قصة هذه الفتاة يا ترى؟؟؟

أما في لندن عاد دانيال إلى بيته في وقت متأخر من الليل كعادته فاستقبلته والدته كعادتها و في عينيها لوعة من الحزن و الألم على مصير ولدها الذي يعيش حياته بلا هدف و لا معنى ثم إن غدا حدث مهم بالنسبة للمسيحيين و هي لا تزال في كل سنة تحاول إقناعه بالذهاب معه للكنيسة و حضور ذلك الحدث كجميع المسيحيين و لكنه كان دائما يرفض دون تقديم أي مبرر... لم تكن تعلم بتلك الحقيقة...حقيقة أن ولدها لم يكن يعتنق أي دين...أن ولدها اختار أن يعيش بلا أي معتقد يتشبث به...هو أخفى عنها ذلك لأنه لم يرد أن يجرح مشاعرها...لم يردها أن تظن بأنه يهين معتقدها الديني لأنه لا يؤمن به...هو فقط يريد أن يعيش حياته كما يريد و بدون أي حدود..

مرة أخرى بادرت سيرين بسؤال ولدها:

-ألن تأتي غدا ؟

-أرجوك أمي لقد انتهينا من هذا الموضوع منذ زمن...لذي مشاغل كثيرة و لن آتي و أتمنى أن لا تكرري علي هذا الطلب مرة أخرى ...و الآن اعذريني... أريد أن أنام...

و غادر دون النظر إلى الدموع التي انهمرت من عينيها الحزينتين...

نور

في ذلك الحين لا تزال نور تجاري دموعها... حينما دخل عليها جهاد و وجدها على تلك الحالة فجلس قربها و مسح على شعرها برفق و هو يقول لها بصوته الدافئ الحنون:ألم تنامي بعد...يجب أن تستيقظي باكرا...

فأجابته بصوتها المختنق:أنا لا أريد أن أذهب من الصعب علي أن أعيش هناك...لا أريد أن أترك صديقاتي هنا سأشتاق إليهن...

-نحن مرغمون على ذلك بسبب طبيعة عمل والدي ثم لا تقلقي أنا معك و لن تشعري بالوحدة أبدا...

-أنا اعلم و هذا ما يواسيني...لكن هل سأستطيع التأقلم على العيش هناك؟؟

-بالطبع لأنك قوية و صلبة و ذكية ستستطيعين ذلك...

فتنهض من مكانها و تعانقه بقوة و هي تحاول أن تستمد من حضنه الشجاعة لخوض الحياة الجديدة التي تنتظرها ابتداء من الغد..

في صباح الغد استيقظ دانيال في وقت متأخرا و ذهب إلى الجامعة ليتدارك ما بقي من الدروس... و كالعادة لا يهج يومه سوى نظرات الفتيات الصاخبة حوله و هن يتدافعن نحوه لإلقاء التحية عليه فيرد عليهن بكلمات غزل بلغة انجليزية متقنة رغم أصله العربي إلا أنه كان يرفض رفضا باتا أن يشار إليه بعروبته التي بالنسبة إليه أحد العوامل المرتبطة بماضيه البشع...كم يكره حقيقة أنه عربي و يكره تلك الكلمات التي لقنها له والده في صغره و منذ ذلك الحين لم يلفظ حرفا عربيا واحدا...

و ما الذي يشرفه في كونه عربي ... فمن هم العرب؟ ... هم مجرد اشخاص متخلفون و تافهون ... لم يحققوا شيئا و لم يتطوروا ... يعيشون على اطلال الماضي و يتقيدون بتقاليد غبية و منها لا يتزحزحون ... و لذلك فهو لا يتشرف بأن يكون عربي...

حطت الطائرة في المطار لتضع نور و جهاد و والديهما على حافة طريق يمثل بداية جديدة لحياتهم...كانت نور تسير ممسكة بيد أخيها جهاد بعد أن شحنت نفسها بطاقة الأمل و الإيمان أثناء لحظات قضتها في فجر اليوم و هي تؤدي صلاتها و تتلو القرآن و قد رفعت يديها عاليا بالدعاء و الرجاء من الله أن يسهل عليها هذا الدرب الجديد و هاهي الآن تسير بثقة في حكمة الله و قدرته... خفيفة كنسمة لطيفة يفيض من تحت حجابها الزهري و جلبابها الذي بلون البنفسج أنوثة و براءة...رقتها و نشاطها يجعلان والديها و أخاها جهاد يتأملانها في فرح...لم يعلموا لماذا و لكن ابتسامة نور تمنح هذه العائلة بريقا من السعادة و كأنهم يستمدون الأمل من سعادتها التي تكون بالنسبة لهم كبلسم يداوي كل أحزانهم و قلقهم...و هناك وجدوا عامل الشركة التي يعمل فيها السيد عبد الله والد جهاد و نور ينتظرهم بالسيارة التي ستأخذهم إلى منزلهم الجديد الذي قدمه لهم مدير الشركة...

انتهى دوام الجامعة ... كان دانيال يسير في الشوارع مترجلا بعد أن ترك دراجته النارية عند عامل الصيانة لإصلاحها فاستوقفته الشاشة الكبيرة التي في وسط الشارع تعرض أخبار اليوم...نظر إلى الأحداث مطولا... هناك كانت مشاهد كثيرة لقتلى و جرحى و انفجار كبير...كل شيء كان يبدو شبيها بتلك الحادثة المأساوية التي تمثل ماضيه الأسود...تذكر كل شيء و ما لبث ان ارتسمت على وجهه ابتسامة جانبية جمعت بين الغضب و الحقد و القهر...مرت على الشاشة صور لشخصين يرتديان لباسا سوداء و بجانبهم راية سوداء عليها عبارة بالعربية قرأها بعينيه ثم ابتسم بسخرية و خواطره تفيض اشمئزازا ثم غادر إلى منزله ليرتاح قليلا و يعود ليقضي الليل كالمعتاد...و في طريقه لاحظ أن هناك جيران جدد في نفس الشارع الذي يقع فيه منزله و لكنه لم يكلف نفسه فضول معرفتهم بل اكتفى بنظرة جانبية ثم واصل طريقه...

مر الليل كالعادة بالنسبة لدنيال...

أما نور فقد كانت مرتبكة جدا و هي تنتظر مشوار الغد... لكن كالعادة ببضع كلمات من جهاد عاد إليها الهدوء و بدأت تحضر نفسها بثقة بينما قام جهاد بتحضير شهاداته للبحث عن عمل.

جاء الصباح ليحمل معه بداية جديدة في حياة الأخوين...

بعد أن أوصل جهاد نور إلى جامعتها غادر بعد أن عززها بكلمات أخرى تشحن طاقة الشجاعة داخلها...

دخلت نور الجامعة تمشي على استحياء ممتزج بثقة في النفس و لا يزال قلبها يردد تلك الآيات التي تلتها قبل المجيء...

و كما توقعت...عالم مختلف عن عالمها...جموع من الطلاب مختلط بين شباب و فتيات بلباس غير محتشم و تصرفات غريبة و غير محتشمة أيضا...وقفوا يشاهدونها باستغراب شديد يتأملون في شكلها الغريب بالنسبة لهم ... حجاب أسود و جلباب أزرق اللون...لم يزيحوا نظراتهم عنها و لكنها لم تهتم و واصلت السير بثقة ثابتة ... دخلت الصف بهدوء غير مبالية بالإزعاجات التي تعرضت لها من مجموعة الشباب الذين سخروا من شكلها و لا بهمس الفتيات حولها... انتهت الحصة غادرت الصف و بعد أن انتهت فترة الاستراحة رجعت لتواصل الدروس...كانت متجهة نحو المدخل هناك حيث كان جمع من الفتيات يجتمعن حول دانيال الذي كان قد وصل للتو و متأخرا كعادته ...و ما لبث أن عم الصمت و التفت الجميع و كأنهم يشاهدون ظاهرة غريبة فلأول

مرة تكون في تلك الجامعة فتاة مسلمة بالحجاب...و بشكل بطيء بدأ الجمع يتفرق من أمام دانيال... و لاحت نور من بعيد تمشي بخطواتها الهادئة و الثابتة...و هناك كانت الصدمة بالنسبة لدانيال التي جعلته يثور غضبا و من دون أن يتمالك نفسه أو حتى أن يفكر في ذلك تقدم نحوها مسرعا و صرخ بصوت عال:توقفي عندك...

توقفت للحظة ثم واصلت المسير لكنه اقترب أكثر و صرخ أكثر من المرة الأولى:قلت لكي توقفي...

فتوقفت هي من دون أن تتفوه بأي كلمة و قال هو:

-من المستحيل أن أسمح لأنذال مثلكم بالتواجد في جامعتنا.

.....-

-أنتم يا حثالة البشر يجب أن يتم إزاحتكم عن الحياة...أيها الإرهابيون القذرون سأدمركم ... يجب أن تغادري حالا أو تحملي العواقب...

و بصوت هادئ و دون أن ترفع رأسها قالت: أظن أنك انتهيت من كلامك ... اعذرني الآن لدي صف...

ثم واصلت السير مما زاد من غضب دانيال و هم بإمساكها من مرفقها...و لكنها بخفة رجعت إلى الوراء و تداركت الأمر قبل حتى أن يلمسها و رفعت رأسها و قالت بحدة: إياك أن تحاول لمسي... دعني و شأني...

كانت ردة فعل نور صادمة لدانيال ...كانت عيناها تنطق قوة و تحدي ... بحر من الثقة ... فمن أين تستمد هذه القوة و هي مجرد فتاة رقيقة ؟

تركته مذهولا و غادرت بخطوات متسارعة و كأنها تريد تجنب أي اشتباك معه...

و ما إن أدرك دانيال نفسه و ما حدث اجتاحه الغضب بشدة ووعد نفسه أن يجعلها تعيش عذابا لدرجة أن تركع تحت قدميه و تطلب منه الرحمة...

مر اليوم كالعادة نفس الروتين لكن هذه المرة كان مزاج دانيال معكر و هو يفكر في ما سيفعله لينتقم ...

الانتقام كان هو الهدف الباطني الذي يخفيه دانيال في نفسه و لطالما كانت روحه تتوق للانتقام بأي طريقة قد ترضي نفسه المأسورة بما حدث في الماضي ... و وجود نور مثل له الفرصة

للإنتقام لموت والده... والده مازن الذي قتله الإرهابيون... الذين هم بالنسبة له المسلمون...

جهـــاد

في شوارع لندن و بعد بحث طويل وجد جهاد عمل كمبرمج في شركة اتصالات و غادر ليباشر العمل في الغد...

ذهب ليأخذ نور من الجامعة و ما أن رأته حتى أسرعت و ارتمت في أحضانه... كانت تعانقه بقوة و هي تبكي بحرقة تذكرت ما حدث اليوم لم تكن بداية جيدة لها و لكن ما جعلها تنهار بهذا الشكل ذلك الهدوء الذي بذلت جهدها في المحافظة عليه فكان أقوى من موقفها و استنزف طاقتها... كان جهاد قلقا جدا لرؤية أخته بذلك الشكل فمسح على رأسها برفق و سألها:

-ما الأمر يا صغيرتي... هل حدث أمر أزعجك؟

-لا شيء و لكن كل شيء يبدو مختلفا هنا و أنا قد اشتقت لصديقاتي لو كنت في تونس لكنت معهن الآن...

صحيح أنها اشتاقت و لكنها أيضا لم ترد أن تجعل جهاد يقلق عليها فاخفت عنه ما حدث...

في تلك الليلة كان دانيال يحتسي الكأس تلو الآخر و الصور تتزاحم داخل عقله و كان يحاول بذلك أن يخرج تلك الذكريات من رأسه ليرتاح..صور الماضي الأليم...صور الإرهابيين الذين قتلوا والده...لحظات التشرد من كنيسة إلى كنيسة بعد أن فجروا منزلهم في خطة للقضاء على مازن و لم يجد دانيال و والدته ملجأ ... ثلاث سنوات من العذاب جعلت العقدة داخل دانيال تكبر جعلته يكره المسلمون و جعلته يفقد كل إيمانه بوجود خالق لهذه الحياة ... جعلت قلبه يكتسي بالقسوة و الحقد... ثلاث سنوات مريرة لم تكن لتنتهي لو لم يأتي جد دانيال من لبنان و يهبه كل شيء ورثه والده عنه...فقد عاش مازن منذ ولادته مع والديه في لندن و لكن عندما افترق والداه عاد والده إلى لبنان و بقي هو في لندن ... و عندما شارف والده على الموت بحث عنه ليعطيه ميراثه و لكنه علم أنه قد توفي فحزن كثيرا و واصل البحث عن حفيده و قد ساعده في ذلك أولاد أخيه... و عندما وجدهم في تلك الحالة غير حياتهم و أعطاهم ثروة جعلتهم يعيشون حياة رفاهية منذ ذلك الوقت و لازالت الأموال تصل إليهم من لبنان كل شهر...و لكن ذلك لم يشفي الجرح الذي كان في قلب دانيال... و كان قدوم نور هو السكين الذي أعاد فتح الجرح....فبالنسبة له الإرهابيون هم المسلمون و الإرهاب و الإسلام وجهان لعملة واحدة...هذه الحقيقة التي كانت له جازمة و لا شك فيها...صورا و صورا و أصوات من الماضي... بيتهم الذي تلتهمه النيران... والده الذي كان يخرجهم لينقذهم ... و الرصاصة التي جعلته يقع في النار و يحترق و تحترق

معه جوارح سيرين و دانيال...صراخه و صراخ والدته و سيارة الإسعاف و سيارات الإطفاء أصواتهم تتردد في عقل دانيال رغم ما احتسى من كؤوس لم يستطع إخماد لهيب الذكريات داخل رأسه...

في صباح الغد... ذهبت نور كالعادة برفقة جهاد إلى الجامعة فأوصلها ثم غادر ليبدأ دوامه الأول في العمل...كانت نور تحاول إخفاء قلقها... لم تكن تريد أن تفكر فيما قد يفعله ذلك الشاب الذي اعتبرته مجنونا...أما جهاد فقد كانت البداية بالنسبة له غريبة بعض الشيء...كانت الفتيات تتدافع نحوه بشكل مزعج... لقد أعجبهن شكله... شعره الذي يبدو أطول بقليل من العادة لحيته الخفيفة و الهدوء الذي يرسم علامات زائدة من الوسامة على وجهه و سمرته القليلة... و لكن لم يعلمن أنه لا يحب تلك التصرفات... لقد كان ينزعج من ذلك... مع رفض أغلبية الشباب التواصل معه... ما عدا الشاب جون البريطاني... فشعر بالراحة معه و صادقه رغم اختلاف الأديان إلا أن جون قد أبدى احتراما لجهاد و ذلك ما جعلهما يتصادقان... في تلك الشركة فتاة لفتت انتباه جهاد و تفاجئ لأنه لم يتوقع أن يجد مثلها في تلك الشركة ... كانت فتاة تبدو بسيطة جدا و ترتدي حجابا و تجلس منعزلة عن الجميع و تعمل في صمت و لا تتكلم مع أحد إلا في العمل... علم بعد ذلك أن اسمها فرح و هي جزائرية الأصل و أن إمكانياتها و ذكائها هم من جعلوها تنال منصبا في هذه الشركة...و قد حركت في داخله الفضول ليكتشف ما قد تتميز به هذه الفتاة التي صنعت لنفسها مكانا في عالم لا يشبه عالمها و كيف أنها قد حافظت على معطف أصلها و أثبتت نفسها بعقلها دون أن تنزع عنها هويتها...

أما في الجامعة كانت نور سعيدة لأن دانيال لم يأتي للجامعة..

و مر أسبوع على نفس الحالة... دانيال متغيب عن الجامعة و نور تدرس في هدوء حتى إن الطلبة قد تعودوا بوجودها ...و وجدت نفسها تتواصل مع فتاتين لطيفتين تدعيان ميرنا و سوزان ... أما جهاد فكان يعمل بجد و شيئا فشيئا استطاع التواصل مع فرح و تعارفا فسرت بوجوده الذي أضاف إليها شعورا بالطمأنينة و أصبحا يجدان راحتهما في العمل معا بسبب الاحترام المتبادل بينهما و مشاركتهم نفس الأفكار و المعتقد فكان من السهل تكوين صداقة طفيفة مع ترك مسافة فاصلة بينهما للمحافظة على الراحة في التواصل مع بعضهما..

مر ذلك الأسبوع و عاد دانيال بعد أن هدأ نفسه... عاد و في نصب عينيه أفكارا لتنفيس غضبه في نور و في كل مسلم يقابله... منذ بداية اليوم...كان يتعرض لنور و يزعجها بكلمات سيئة... كان يعرقل سيرها و يحاول ان يجعلها تقع ... أحيانا كانت تقع و يضحك عليها الحاضرون فتقف بهدوء من دون أن تقول كلمة تنفض الغبار عن ملابسها و تغادر بعد أن تغمض عينيها و تتنفس صعيدا تذكر فيه الله حتى تتحكم في انفعالاتها... كان يسب الإسلام و يهينها و كل ذلك ليثير غضبها... يظن في نفسه أنها ستفصح عن حقيقتها في لحظة غضب... و لكن لا ... كانت نور هادئة دائما... لم تكن تبدي غيضا أمامه ... بل كانت تتجاهله و كأن شيئا لم يحدث... و تواصلت الأيام على نفس النحو المعتاد...

في يوم من الأيام... خرجت سيرين تبحث عن قطتها التي خرجت من المنزل...فوجدتها مع مجموعة من القطط الضالة تحت جدار سور لأحد المنازل... فحملتها و همت بالرجوع... لكن فجأة استوقفها صوت أثار انتباهها... ظنت أنها تتوهم سماع تلك اللهجة التي اشتاقت إليها... و لكن أرادت التأكد من ذلك... فاقتربت قليلا... فاستمعت صوتين لامرأة و فتاة يتحدثان اللهجة التونسية...أحست بفرحة غمرت قلبها ...فهي قد كانت مشتاقة كثيرا لتلك الكلمات التي لم تسمعها منذ 25 سنة ... منذ أن كان عمرها 16 سنة عندما تركت تونس و سافرت مع والدتها إلى بريطانيا...أخذها الحنين إلى تلك السنوات التي قضتها في بلدها الذي تحبه...سيرين هي ابنة لرجل تونسي و

امرأة بريطانية...توفي والدها و كان عمرها ست سنوات...و بقيت مع والدتها في تونس إلى أن أصبح عمرها 16 سنة ثم رحلوا بعد أن اتصل بها جدها من أمها و طلب منهم القدوم للعيش معه...و لذلك كانت سيرين قد كبرت وسط محيط المسيحيين و أخذت دينها عن والدتها...و لكنها كانت تحب بلدها رغم كل ذلك...مسحت دموع أثارها الشوق و اقتربت و دقت الباب ففتحت لها فتاة في سن ال19سنة ... نظرا إلى بعضهما في ذهول...و كل منهما يفكر في أمر مختلف...سيرين لم تكن تدرك أنها ستلتقي بأشخاص مختلفون بهذا الشكل لم تفكر في إمكانية ذلك قبل أن تدق الباب أما نور فقد كانت مستغربة لأنها المرة الأولى التي يأتي فيها أحد لزيارتهم... كانت سيرين تخشى ردة فعل الفتاة... لم تكن تملك أي عذر للتحجج به إذا ما انزعجت منها... و لكن تفاجأت بها تبتسم و تقول لها بكل لطف:مرحبا بك...

ارتبكت سيرين من لطف الفتاة...أرادت أن تكلمها بلهجة تونسية و لكنها في تلك اللحظة شعرت و كأن الكلمات هربت منها...لم تستطع التكلم...

أحست نور بها فأرادت أن تجعلها تسترخي فقالت لها: ما رأيك أن تتفضلي معنا أنا و أمي و سنتعرف...

فابتسمت سيرين و قالت لها: شكرا لك...

و انضمت سيرين إلى نور و والدتها مها...و جلسن يتحدثن و تعرفن على بعضهن و ما لبث أن صار الحديث مزيجا من المزاح و الضحك...حتى شعرت سيرين براحة بينهما ...

كان جهاد يجلس في مكتبه منكبا على العمل و يجعل منه حجة ليبعد عنه الفتيات اللاتي تحاولن التقرب منه ...

كان الجميع يعملون معا على نفس المشروع ...

لكل منهم مكتب صغير ...

و جميع المكاتب في غرفة واحدة كبيرة تتوسط محيط الشركة ...

كل منهم مكلف بعمل عليه أن يكمله اليوم ...

بدأ جهاد يضع اللمسات الأخيرة على عمله في ارتياح و قد أوشك على الإنتهاء ...

نهض قصد الذهاب لآلة القهوة لتجهيز قهوة له ...

ما إن رفع رأسه حتى لمح فرح ... لم تكن تبدو في حالة جيدة ... كان واضحا عليها التعب و المرض ... شعر بالقلق عليها ... كان مترددا في أن يسألها عن حالها ...

كان يخشى أن يزعجها إذا أبدى لها اهتماما أبعد من حدود الزملاء ...

أراد أن يتجاهل أمرها ... لكنه لم يستطع خاصة عندما رآها تسعل و قد ازدادت على وجهها علامات الإرهاق ... بدون تفكير تقدم منها بسرعة و سألها في شيء من القلق و بصوته الهادئ:أنسة فرح هل أنتي بخير ؟

التفتت إليه و ابتسمت لم توفق لتجيبه اذ قاطعها السعال مرة أخرى ... فازداد قلقه

- تبدين مريضة جدا يجب أن تعودي للمنزل و ترتاحي

نظرت إليه و قالت له بصوت هادئ: لا يمكنني علي أن أكمل عملي...

-لكن لن يمكنك ذلك و أنتي على هذه الحالة

-إنني أحاول لا يمكنني أن أخسر عملي لقد حصلت عليه بصعوبة ...

تنهد بصوت هادئ و فكر قليلا ثم قال لها بصوت مرتبك: إذا دعيني أساعدك ...

نظرت إليه في ذهول و قالت بصوت أشد إرتباكا: لا عليك سأكمله بنفسي شكرا لك على كل حال ...

شعر جهاد بخجل شديد لكنه كان مصمما على مساعدتها: حالتك صعبة و إذا لم أساعدك قد تفقدين عملك ... من واجبي أن أساعدك في محنتك و انتي بحاجة لهذا ...

لم تستطع فرح أن تواصل الكلام ... لذلك ابتسمت في امتنان و قالت بهدوء: حسنا ... شكرا لك

ابتسم و هم بالتقدم للعمل ... لكنه شعر أن ذلك سيقلص المسافة بينهما فارتبك و وقف مترددا ... عندها ادركت فرح ما كان يفكر به ... فوقفت و ابتعدت قليلا عن المكتب لتفسح له المجال حتى يتقدم ليعمل محلها ... و قد علت وجنتيها حمرة خجل شديد ...

تقدم جهاد من الكرسي و حمله و وضعه قربها و قال لها : اجلسي انتي حالتك لا تسمح لك بالوقوف طويلا ...

اشتد ارتباك فرح و هي تفكر في شدة لطف جهاد و كم أنه شاب محترم و نبيل ...

بينما بدأ جهاد في اكمال عمله قبل أن يأتي مدير الشركة و يتسلم جميل الأعمال

.....

في ذلك الحين كانت جونا و ليانا تراقبانهما و تتهامسان

جونا: يبدو أن جهاد قد أصبح مقربا من تلك الفتاة

ليانا: هذا هراء ... ما الذي قد يعجبه في فتاة مثلها؟

جونا: عزيزتي لا تنسي أنها مسلمة مثله و هذا كاف حتى يهتم بها و يتجاهلنا نحن رغم أننا أجمل منها بكثير

-و ماذا في كونها مسلمة ... تبدو متخلفة جدا ألا ترين هيئتها؟ أما جهاد يبدو عكسها فهيئته عصرية و أنيق جدا و ذلك يعكس نظرته نحو الجمال لا يمكن أن يهتم بفتاة مثلها ...

- و مع ذلك فهو لا يزال يتجاهلنا و لا يحب أن يتحدث معنا في حين أنه دائما يتحدث معها ... فما السبب برأيك؟

لم تجب ليانا و كانت قد سبحت في بحر أفكارها ... تفكر في تصميمها على جعل جهاد يهتم بها ... و تفكر أكثر في طريقة حتى تبعد فرح من طريقها نهائيا ...

دخل المدير و بدأ يتفقد أعمال الموظفين ...

مر نحوهم جميعا بانتظام ...

كان يسأل أسئلة كثيرة و معقدة حول ما قاموا به ...

لم يجد جهاد صعوبة في الإجابة لكنه قلق كثيرا بشأن فرح ...

كان ينظر نحوها في ارتباك ... خشي أن لا تتمكن من الإجابة فيسبب لها ذلك مشاكل مع المدير ...

كلما اقترب كلما تسارعت دقات قلبه ... يتساءل فيما قد تفكر به فرح في تلك اللحظات ... هل هي خائفة ؟ هل ستكون بخير و تجيب عن كل الأسئلة ...

لازال يفكر حين سمع صوت ارتطام شيء بالأرض ...

التفت فزعا فإذا بفرح فاقدة للوعي و تبدو في حالة سيئة جدا ...

فزع الجميع نحوها و اقتربوا منها متسائلين عن ما حل بها ...

في ذلك الحين كان الخوف قد تملك كل كيان جهاد ...

ظل واقفا مجمدا في مكانه عاجزا عن أي تصرف ...

راودته في تلك اللحظة أفكار سيئة ...

ماذا لو أصابها مكروه؟

ماذا لو لم يعد بإمكانه أن يراها بعد اليوم؟

ماذا لو تغادر حياته إلى الأبد؟

كل تلك الأفكار تجعله يتيه في دوامة سريعة من الخوف و الارتباك ...

كان غائبا عن الوعي ... تماما كوضعها ...

لم يعلم كيف و لا متى ... بشكل ما أصبحت هذه الفتاة تعني له الكثير ...

أيقظه من غيبوبته أصوات الموظفين و المدير

المدير: هل هي بخير؟

أحد الموظفين: إنها غائبة عن الوعي ...

المدير: هل اتصلتم بالإسعاف؟

-أجل ...

-هل يمكن لأحدكم أن يحملها إلى الخارج لابد أن الإسعاف ستصل في أي لحظة ...

تقدم أحد الشباب منها ... غير أن صوت جهاد أوقفه: توقف رجاءا

نظروا نحوه في دهشة: ما الأمر ؟

ارتبك جهاد ... لم يعلم كيف يفسر لهم الأمر ... كيف سيخبرهم أنه لا يجب أن يحملوها ... بل أنه أيضا لا يريد لذلك أن يحصل ... و حتى فرح لن يعجبها ذلك ... تنفس صعيدا ثم اقترب منهم في هدوء مصطنع محاولا أن يزيل عنه أية ريبة تجعلهم يكثرون من أسئلة ليس له طاقة بالإجابة عنها ...

جهاد: آنسة جونا رجاءا هل يمكنك أن تحضري بعض الماء و تبللي لها وجهها و تجعليها تشرب منه القليل ...

تكلم بلطف شديد جعل جونا تسرع في تنفيذ ما طلبه من دون أي اعتراض ... بينما وقفت ليانا تراقبه في صمت و قد اكتظ رأسها بالأسئلة حول أمره و سبب تصرفه هذا ...

بعد محاولات كثيرة بدأت فرح تستعيد وعيها قليلا ... كان جهاد يراقبها في قلق شديد ساوره بعض الراحة عندما رآها تفتح عينيها ...

اقترب منها في بعض السرور: هل أنتي بخير؟ لقد قلقنا عليك كثيرا

نظرت نحوه و لم تستطع الإجابة

جونا: حرارتها مرتفعة جدا يجب أن تراجع الطبيب حالا ...

في ذلك الحين وصل الإسعاف و كانوا ينتظرونها خارجا حتى تخرج لهم أو يخرجها أحدهم ...

جهاد: آنسة فرح اتكئي على الآنسة جونا ستوصلك للخارج سيارة الإسعاف في انتظارك هناك ... ثم التفت نحو ليانا ...آنسة ليانا رجاءا هل يمكنك مساعدة الآنسة جونا ؟

اخفت ليانا انزعاجها و تقدمت منهما ... بينما وقفت فرح بصعوبة و اتكئت عليهما و قادتاها نحو الخارج ...

بينما ظل جهاد يراقبهم في قلق شديد ... هل ستكون بخير؟

لم يتمكن جهاد من معرفة شيء عن فرح و رغما عنه سينتظر حتى الغد ليعرف عن اخبارها ...

عاد دانيال إلى البيت فلم يجد والدته فقلق عليها لأنها لم تخبره أنها ستذهب إلى أي مكان فخرج بحثا عنها... و أخبره أحد الجيران أنه رآها تدخل لبيت الجيران الجدد فذهب إليها ... و ما إن فتح الباب حتى صدم بحقيقة أن نور كانت خلفه... فدخل بسرعة دون أي إذن و بدأ يصرخ و ينادي على أمه ... فخرجت له فزعة... كان يبدو كأنه خائفا... ظن أن هذه العائلة ستؤذي والدته...كانت واقفة أمامه مستغربة و تقول له: ما الذي حدث يا بني.؟..

-ما الذي تفعلينه في هذا المكان القذر؟...

شعرت سيرين بخجل شديد من كلام ولدها و كانت تنظر إليه نظرة تترجاه فيها أن يصمت... أما نور فكانت تتابع الأحداث في هدوء و كأنها كانت متوقعة لكل ذلك ... أما مها فلم تكن تفهم شيئا...

أمسك دانيال بيد والدته و بدأ يجرها نحو الخارج و هو يتفوه بكلمات مسيئة لكل أهل البيت... أفلتت يدها منه ثم اقتربت منهما و قالت و في عينيها دموع و نظرة تنطق أسفا و قالت لهما:أنا آسفة حقا... لم أرد أن يحدث هذا حقا...

فقالت لها مها و هي تحاول إخفاء انزعاجها من دانيال مراعاة للصدق الذي ظهر في عيني سيرين :لا بأس لا عليك ...

و قالت نور و كأنها فهمت كل شيء و كأنها شعرت بأن سيرين أحبت كثيرا المجيء إلى بيتهم و علمت أن دانيال سيمنعها أو أن خجلها مما قاله ابنها سيمنعها من المجيء و قد كانت أثناء حديثهم قبل ذلك تكرر رغبتها في تعميق الصداقة بينهم: لقد سررنا بمعرفتك سيدتي و نرحب بك في بيتنا في كل وقت....

نظرت إليها سيرين نظرة شكر و غادرت وراء ابنها منزعجة جدا من تصرفاته و لكنه لم يبدي أي ندم بل قال لها: من الأفضل أن لا تذهبي إلى ذلك المنزل بعد اليوم...

فتركته دون التكلم و ذهبت إلى المطبخ لتعد له الطعام...

في تلك الليلة لم يذهب دانيال إلى أي مكان... كان يشعر بتعب لم يعلم سببه... لم يدرك أبدا أن الحقد الذي في داخله بدأ يرهقه...نام و كانت هذه أول مرة يشاهد فيها حلما ... رأى نفسه في مكان مظلم و كان يجري مسرعا و فجأة يصطدم في شيء كأنه جدار... و لكنه لم يكن يراه كان لونه كلون ذلك الظلام الذي يحتويه و فجأة يلوح له شق صغير على ذلك الجدار...استيقظ من نومه فزعا و لكنه ظن نفسه يتخيل تلك الأشياء... فلم يكن يؤمن بشيء حتى بالأحلام ... لم يبدي أي اهتمام تجاه ذلك و نسيه كأنه لم يحدث...

جاء الصباح.... صعد دانيال دراجته و غادر متجها نحو الجامعة و هناك لاحت له نور من بعيد لكن ليست وحدها فقد شاهد معها شابا... تساءل في نفسه عن من يكون... و لكن تجاهل الأمر عندما خطرت في باله تلك الفكرة... بدا كل شيء مناسب أمامه...نور تمشي من جهة الطريق... و كانت غافلة عنه و منشغلة بالضحك مع ذلك الشاب...و هنا بدأ بتنفيذ ما يخطر في باله.. أسرع بدراجته بأقصى إمكانياته... كان متلهفا جدا للحظة اصطدامه بها ...و كان لا يطيق صبرا لرؤية جثتها... تقدم بسرعة رهيبة...

و لكن في اللحظة الأخيرة جذب جهاد نور بسرعة نحوه و أنقذها من الاصطدام... ارتعبت نور كثيرا فعانقها جهاد ليهدأ من روعها.... أما دانيال فكاد يثور غيضا لأنه فشل فيما أراده... أوقف دراجته قريبا منهما... هدأ من غضبه...ثم تقدم نحوهم يرسم ابتسامة مكر ... لقد تعمد أن ترى نور أنه من فعل ذلك... و كأنه يريد أن يقول لها: انظري ماذا سيكون مصيرك...أراد أن يجدد تهديده لها بطريقة مختلفة...و كأنه أراد الاستمتاع برؤية الخوف في عينيها اللتان تستشيطان قوة و ثبات... تلك العينان اللتان أيقظتا في داخله جانب التحدي بإصرار... كان جهاد يمسح دموع نور و دقات قلبه متسارعة... لقد كان أشد رعبا منها... فنور كانت قطعة من روحه... يحميها منذ صغرهما... متعلق بها أكثر من أي شيء في هذه الحياة...اقترب دانيال متنكرا بنظرات خوف مزيفة و هو يقول:أنا آسف لم أقصد هذا... من الجيد أنها بخير... التفت نحوه جهاد ... في لحظة تخيل ماذا يمكن أن يكون قد حدث لو لم ينقذ نور في الوقت المناسب ... لكنه تمالك نفسه في اللحظة الأخيرة... و قال له:لا بأس لا عليك...

ثم أوقف نور و أمسكها من يدها و غادر بعد أن رمقته نور بنظرة تبدو شبيهة بنظرة استحقار...لم يعلم دانيال ماذا شعر في تلك اللحظة...لماذا كل الأمور تجري عكس توقعاته؟...ماذا يسمى هذا؟...ما الذي يجمع بين نور و هذا الشاب؟... ثم تدارك نفسه و شحن قلبه بمزيد من الحقد و غادر ...

في الجامعة جمع دانيال أصدقائه و استقبلوا نور... كانوا يحيطون بها في شكل دائرة و كانوا يتوجهون نحوها بكلمات وقحة و غير أخلاقية...فمنهم من يقول: أيتها الإرهابية ما رأيك أن تنزعي عنك هذه الملابس و ترينا جسدك المثير...

و آخر يقول:ربما تخجل من قبحها الذي تخفيه تحت هذا الحجاب...

-هيا يا فتاة ستستمتعين كثيرا فنحن نحب الفتيات القبيحات...

و يطلقون أصوات ضحكات متتالية...

و دانيال يراقب المسرحية في فرح شديد...بينما نور تتمالك نفسها بصعوبة...شعرت كأنها ستنهار بعد كل هذه الإهانات التي تعرضت لها و قد كان واضحا أن دانيال يتعمد المساس بكرامتها ... لكن لا يجب أن تضعف فهي أقوى من هؤلاء... أغمضت عينيها و بدأت تتذكر كل شيء قد يشحنها بالقوة... القرآن ...وصايا الرسول صلى الله عليه و سلم و مواساة جهاد... كانت تدعو الله أن ينتهي هذا بسرعة... فجأة سمعت صوتا يقول: يا لكم من جبناء... هل تعرضون نذالتكم على فتاة وحيدة...التفتت فوجدت ميرنا و سوزان تقفان و تحاولان إبعاد الشباب عنها... شعرت بسعادة غامرة فاقتربت منهما و عانقتهما و هي تقول:شكرا لكما ..

فأجابتها سوزان:يجب أن لا تقفي مكتوفة اليدين يجب أن تدافعي عن نفسك...

نور كانت قادرة على الدفاع على نفسها لكنها لم تفعل ذلك لأنها تدرك أنه لا جدوى من ذلك ... فأجابتها: لا بأس

... حسبي الله و نعم الوكيل...

قالتها بالعربية ... سمعها دانيال... شعر بأمر غريب... لم يفهم ماذا يعني.. مع أنه يتقن العربية لم يفهم مغزى تلك العبارة...أما سوزان فقد سألتها في فضول:

ماذا يعني ذلك؟

-إنها أفضل رد قد يقوله شخص مظلوم لمن لا ينفع معهم النقاش...

ثم غادرن...

في حديقة الجامعة كانت نور تجلس مع ميرنا و سوزان على مقعد ...

كانت سوزان تستشيط غضبا مما فعله الشباب : يا لهم من حمقى جبناء ...

كيف يقومون بهذه الأفعال الطفولية .. لا بد أن ذلك المغرور دانيال هو السبب ...

كانت ميرنا تدور حولها و تحاول تهدئة روعها بينما تنظر لهما نور في هدوء يخفي عاصفة الحزن داخلها و قد رسمت ابتسامة شق عليها حبل من الأفكار:

أي فرق بين هؤلاء؟

كانت تنظر لسوزان و ميرنا لأخلاقهما و ثقافتهما و تقارن بينهما و دانيال و مجموعته...

نظرت نحو الصليب المعلق في رقبة ميرنا فشعرت بحزن شديد و لم تبده ...

بعد لحظات هدأت سوزان و بدأت الفتيات تتسامر الحديث في مرح...

سوزان: ميرنا ما هو برنامجك لنهاية الأسبوع؟

ميرنا: بالطبع سأقضي يومي مع سيث كالعادة

-ألم تملي بعد منه؟

-لماذا أمل ؟ إنني أحبه

ضحكت منها سوزان و قالت : أيتها الحمقاء عن أي حب تتكلمين

نظرت ميرنا نحوها بتجهم: بالطبع لا تعرفين ما هو الحب و أنتي ترافقين عشرة أشخاص باليوم

-ماذا تقصدين أيتها الغبية ؟

-ما فهمته

كان سيشب شجار لولا أن قاطعتهما نور بصوتها الهادئ: هدئا من روعكما يا فتاتان لماذا الشجار الأمر لا يستحق؟

نظرت الفتاتان نحو نور ثم تقدمتا منها بنظرات سائلة ... وقفتا بعض الوقت تنظران في صمت ثم تكلمت سوزان: نور

-نعم

ميرنا: لا نقصد الإهانة... لكن ماذا بشأن ملابسك؟ لماذا ترتدين هذه الملابس دائما؟

نظرت نحوهما و ابتسمت: إنني أحب أن ألبس هكذا؟

-لماذا؟

-لأن ديني يأمرني بهذا ...

-لكن لماذا يأمرك دينك أن تغطي نفسك لهذه الدرجة؟

-هذا لغاية التستر

-لا يبدو هذا عادلا في حق المرأة ...

-عندما تنظرين من وجهة نظرنا ستجدين ذلك في شديد العدالة ...

سوزان: كيف ذلك؟ لا أفهم

نور: كل هذا يجعل الحياة تسير بشكل منتظم ... أولا إن حفظ الفتاة لجسدها عن جميع الأعين يجعلها لغزا غامضا لا يمكن لأحد أن يحل هذا اللغز إلا بالحصول عليها بشكل رسمي و قانوني و شرعي ...

ضحكت ميرنا: يبدو الأمر مثيرا و ممتعا بشكل ما

سوزان: أجل تخيلي كيف يرغب الجميع برؤية مفاتن فتاة و لا يمكنهم ذلك فيموتون قهرا يبدو هذا انتقاما جيدا لغطرستهم

ضحكت نور من تفكيرهما و قالت: يا لكما من لئيمتان ...

ضحكت الفتيات...

ميرنا: ماذا أيضا؟

نور: أجل ... أيضا هذا يمكن الفتاة من أن تعرض مكاسب عقلها من دون أي عراقيل أو قلق ... عندما تغطي جسدها فإنها لا تسمح للرجال بأن يسرحوا في تدقيق مفاتنها فيضطروا بذلك على التركيز على ما يحتويه عقلها من أفكار دون التركيز في أمر غيره ...

سوزان: و لكن الحياة بتلك الطريقة تبدو صعبة جدا ... لابد أنك مرهقة جدا من العيش بهذه الطريقة فأنتي لستي في مجتمع مثلك... أو يفكر مثلك على القليل

نور: لا يوجد هناك إرهاق لقد تعودت و لا يمكنني أن أجد راحتي إلا بهذا الشكل ...

ميرنا: الا ترين أن ما تعانينه في الجامعة من مضايقات من الشباب سببه هو حجابك هذا... لماذا تكلفين نفسك تحمل كل هذا العذاب بينما يمكنك تغيير هيئتك

نظرت نور نحوهما سائلة: و لكن لماذا يكون حجابي سببا في مضايقتهم لي؟ ألست في بلد الحرية و الديمقراطية و من حق الجميع أن يرتدوا ما يريدون ؟

سوزان: هذا من ناحية القانون لا أحد يمكنه إنكار ذلك لكن لا يمكنك إقناع العقليات بذلك

-ما السبب؟؟ ما مشكلتهم مع حجابي؟

بدا الارتباك على الفتاتين ... تشجعت سوزان بعد أن ازدردت ريقها و تنفست صعيدا ثم قالت بصوت مرتبك: حسنا بشكل ما يظن أغلب الناس أن هذه الهيئة هي الزي الرسمي للإرهابيين ...

نور في ذهول: إرهاب؟

-أجل ... أغلب المسلمين إرهابيين ...

نور: ما علاقة الإسلام بالإرهاب؟

-لا نعلم و لكن جميع الإرهابيين يقومون بأفعالهم الشنيعة و هم يرددون عبارات من الإسلام...

-المشكلة في عقولهم ... ينبغي أن لا تحكموا على الإسلام من خلال المسلمين فوالله لو كانوا يتقنون إسلامهم لكانوا في أحسن حال ... إن تحريفهم و فهمهم الخاطئ للدين يجعلهم يعانون كثيرا لو تعلمون ... لكن إذا أردتم أن تعرفوا شيئا عن الإسلام فابحثوا في القرآن و السنة ... و اجعلوه تحد بيننا إذا

وجدتم فيه أي دليل يحث فيه الإسلام على الإرهاب أو القتل فإني سأعلن تركي لدين الإسلام أمام الجميع ...

كانت نور تتحدث بثقة شديدة بينما وقفت ميرنا و سوزان تنظران نحوها في ذهول شديد ... لم تأخذ الفتاتين بعين الاعتبار هذا التحدي فاقتربتا منها و بلطف شديد و قالت ميرنا: نحن آسفتان ... لم نقصد أن نجرحك بما قلناه ... نحن منذ عرفناك عرفنا أن العلة تكون في الناس و ليست في دينهم فأنتي مثال جيد لصورة المسلم الجيد و نحن نحترمك لهذا و نحبك ...

ابتسمت نور و قد كادت أن تذرف دموعها لكنها كتمتها بصعوبة شديدة ...

لم يقم التحد بين نور و صديقتيها ...

لكن أحدهم عازم على إقامته رغم عنهم ...

لم يكتفي دانيال بما حصل ذلك اليوم... بل أراد أن يهينها أكثر ... ففي فترة الاستراحة... كانت نور تجلس وحيدة كعادتها لأن سوزان و ميرنا تتحدثان مع صديقهما ... فتقدم منها دانيال و بكل وقاحة أمسك يدها أمام الطلاب و بقوته.. فزعت نور كثيرا و كانت تقول له:اتركني... اترك يدي...كيف تجرئ على ذلك...

فرد عليها: ماذا تحسبين نفسك؟ جوهرة لا يجب لمسها؟ أنتي مجرد حثالة رخيصة و إرهابية...

كانت نور تحاول إفلات يدها ... أما هو فكان يتوجه بيده الثانية نحو حجابها و كان ينوي نزعه عنها... و عندما أدركت نور ذلك ثار غضبها فجمعت كل قوتها و رفعت يدها و صفعته بقوة صدمت جميع الطلاب ثم اغتنمت الفرصة و هربت...

شعر دانيال بالإهانة ... و أمضى ذلك اليوم غاضبا بشدة... أما نور فقد غادرت الجامعة ... و قبل أن تصل إلى البيت هدأت من روعها و مسحت دموعها و لم تنوي إخبار أهلها بشيء لكي لا يقلقوا... و لكن هل ستتحمل كل ذلك؟... إلى متى سيطاردها هذا الحاقد؟ ... عاد جهاد من عمله فاستقبلته نور بمرحها المعتاد... و بعد أن تناولوا العشاء جلس الأخوين معا يتحدثان ... جهاد: هل اعتدت على الجامعة؟

-أجل... أصبحت أتعود ثم إنني تعرفت على فتاتين لطيفتين و تصادقنا...

-هذا جيد..

نظرت في عينيه فشعرت أنه يريد أن يخبرها بأمر ... هكذا نور إنها تمتلك قدرة الشعور بالناس دون أن يتكلموا...فقالت له:ما الأمر يا جهاد؟

ارتبك قليلا ثم التفت نحوها و ابتسم و قال: أفكر في أمر ما و لا أعلم ما أفعله...

-ما هو؟

-أعرف فتاة تعمل معي في نفس الشركة...إنها تمتلك كل الصفات التي أتمناها في زوجتي المستقبلية... و لازلت لا أعلم كيف أتقدم لها...

-هل هذا يعني أن هناك فتاة ستأخذك مني؟ ...

ضحك جهاد من كلامها و لكنه تفاجئ عندما التفت كانت دموعها تنهمر بحرقة شديدة... لم تتمالك نفسها و غادرت المكان و ذهبت إلى غرفتها و ظلت تبكي... أما جهاد فكان مصدوما من ردة فعلها... لم يعلم ما يفعله... ذهب إليها فوجدها تبكي وقف ينظر إليها مندهشا..أحس بمبالغة في ردة فعلها... و لكنه لم يعلم أن ما يحدث في الجامعة جعل أعصابها تنهار...فاقترب منها و مسح على رأسها كالعادة و قال لها:ما الأمر يا صغيرتي...لماذا تبكين؟

-لا شيء...اذهب فكر في طريقة للتقدم فيها لتلك الفتاة...

-و أتركك على هذه الحال؟ ... هذا مستحيل...

-لا تهتم... يجب أن أتعود على الوحدة من الآن...

-و لماذا يجب أن تكوني وحيدة؟

-مع من سأبقى...أنت ستتزوج و ستتركني و تذهب...

-من قال لك ذلك؟

-هذا ما سيحدث...

-هذا غير صحيح تعلمين أنه لا يمكن لأحد أن يأخذ مكانك في حياتي...

-الأمور من المستحيل أن تبقى كما كانت...

فعانقها بعد أن فهم ما يجول بخاطرها و قال لها : اهدئي سأؤجل الأمر الآن ...

-و لكن هذا سيحدث عاجلا أم آجلا...

-ربما بعد أن تتزوجي أنتي و تتركيني وحيدا...

-أنا لا أفكر في الأمر الآن أبدا...

-حسنا لا تفكري في أي أمر...

-أخي...

-أجل...

-أنا أحبك...

-و أنا أكثر أيتها الصغيرة المشاكسة...

فضحكت ثم أمسكت يده و اتكأت و ما لبثت أن نامت في هدوء...

أما دانيال فكان يحضر لأمر أراد أن يفعله في الجامعة في الغد...بعد أن قام ببحث على الإنترنت... لاحظ أمورا كثيرة تخالف نظرته نحو الإسلام لكنه تجاهلها و أخذ ما يحتاجه ثم نام... و هذه المرة أيضا عاد له نفس الحلم... في نفس الظلمة... يركض فيصطدم بذلك الجدار الخفي و يلوح له ذلك الشق لكنه يتوسع شيئا فشيئا ... فيستيقظ دانيال من الحلم مرة أخرى ثم يعود

للنوم متجاهلا كل شيء...في الصباح غادر متجها نحو الجامعة و كعادته... رأى في طريقه نور مع نفس الشاب ... لكن هذه المرة لم يحاول قتلها.. لأنه يريدها أن تحضر للمفاجأة التي يحضرها لها في الجامعة و التي يعلم أنها ستقتل قلبها...

وصل جميع الموظفين إلا هي لم تكن قد وصلت بعد ... كانت عيناه معلقتان على الباب تنتظر قدومها بينما كانت عينا ليانا معلقة نحو جهاد و تفكر أنه حان الوقت لتبعدهما قبل أن يقتربا ... لحظات و دخلت فرح الشركة تمشي بخفة و تعلو قسمات وجهها الحياء و بعض الشحوب ... يبدو أنها لازالت متعبة ... راقبت ديانا ردود فعل جهاد عن كثب ... و لم يخفى عنها ابتهاجه عندما رآها تدخل الشركة ... بل و لم يتمالك نفسه فقفز بسرعة نحوها و هو يسألها بعد أن ألقى عليها تحية الإسلام ... لكن ديانا لم تستطع أن تفهم ما دار بينهما لأنهما كانا يتحدثان العربية ...

-آنسة فرح كيف حالك اليوم؟ هل تحسنتي ؟

-أجل شكرا لك سيد جهاد أنا أفضل اليوم الحمدلله ...

لم يظهر لجهاد أنها أفضل و لكنه لم يستطع أن يتمادى أكثر في السؤال و لذلك قطع الحديث بإختصار : الحمدلله ...

وقت إستراحة الغداء ... الجميع في مطعم الشركة يتناولون الغداء ... و ليانا تخطط لأمر ما ...

كان جهاد مع صديقه جون على نفس الطاولة يأكلان و يتسامران الحديث ... حينما قدمت ليانا تتبختر و تتمايل الخطوات ... نظرت نحو جهاد نظرات اغراء لم ينتبه لها حتى إنه لم ينظر نحوها بتاتا ...

تكلمت بصوت رقيق: جهاد أنا أحتاجك في أمر فهل تساعدني؟؟

من دون أن يدير وجهه أجابه: ما الأمر؟؟

-هناك مشكلة في عملي لم أجد لها حلا و المدير سيأتي بعد قليل ليراقب اعمالنا أخشى أن يغضب مني فهل تساعدني في حلها؟

-حسنا سأراها عندما ينتهي وقت الغداء

-لا ارجوك لن يكون هناك وقت كاف حينها قد يأتي المدير في أي لحظة

-حسنا

ذهب معها إلى غرفة مكاتب الموظفين ...

في ذلك الحين توجهت جونا نحو فرح بطلب من ليانا ...

جونا: فرح هل يمكنك مساعدتي؟؟

- طبعا ما الأمر؟؟
- هناك مشكلة في برنامجي فهل تساعديني في حلها؟
- حسنا لا بأس
- شكرا لك

و سارت الإثنتان نحو غرفة الموظفين ...

كان جهاد منكبا على جهاز ليانا يتفحصه...

جهاد: لا أرى أي خطأ في عملك

ليانا: حقا؟

استدار نحوها و تفاجأ لعبارات خبيثة بادية على وجهها ...

بهت منها و هم بأن يسألها إلا أنها انقضت عليه و عانقته بقوة ...

كان يحاول إبعادها عنه حينما دخلت جونا مع فرح و شاهدتهما ...

ابتسمت جونا بينما كانت فرح منصدمة مما رأت ... و لم تتحمل ما رأته للحظة فاستدارت بوجهها و غطته و انطلقت مسرعة نحو الخارج ... بينما كان جهاد في صدمة اكبر بعد ان رأى فرح و علم أن الأمر مخطط له فدفع ليانا بقوة و قال لها بصوت غاضب: من فضلك يا آنسة ليانا أنا لا أتحمل مثل هذه التصرفات فأرجو أن تحترمي نفسك و تتركي مسافة فاصلة بيننا و لا تقتربي مني رجاءا ...

ثم خرج مسرعا ليلحق بفرح ... لكنه لم يجدها في المطعم .. لم يستطع البحث فانتظر لحين انتهاء الإستراحة ... عاد الجميع للعمل ... كان جهاد مشتت البال يراقب فرح من بعيد و يبحث عن طريقة ليتحدث إليها ... لم يظهر له كيف كانت و لا كيف تفكر ... كانت تجلس هادئة كعادتها ... انتهى وقت العمل و قبل أن يلحق بها كانت قد غادرت ... فشعر بأسى شديد ...

عندما عاد للمنزل كان حزينا جدا ... لم يكلم احدا بالرغم من محاولات نور الكثيرة لتعرف ما به إلا انه لم يخبرها و قال بأنه متعب و من دون حتى أن يتناول

الطعام أغلق على نفسه الغرفة ... و أمضى الليلة يصلي قيام الليل و يطلب من الله أن يسامحه على ما حدث و سبحانه الله تعالى كيف لا يغفر لعبده و هو يذنب عمدا فهل يظن جهاد أن الله لن يغفر له أو أنه غاضب منه؟ بالطبع هو لا يظن ذلك و لكنه الخجل ... مثلما يخجل الشاب لو رآه والده في نفس الموقف سيخجل العبد و هو يعلم أن الله يرى كل شيء ...

وصلت نور إلى الجامعة... كان الصباح هادئا لم يحاول دانيال الاقتراب منها و إزعاجها... فارتاحت قليلا... و في وقت الغداء كان جميع الطلبة في مطعم الجامعة يتناولون الطعام ... كانت نور مع سوزان و ميرنا و كنا يتحدثن معا عندما تعالت أصوات ضحكات الطلبة فاستغربت الفتيات من الأمر و عندما نظرن وجدن أنظار الطلبة متجهة نحو شاشة التلفاز التي في المطعم...و ما إن تطلعن نحوها حتى كانت الصدمة لنور... كانت الشاشة تعرض فيلما قصيرا يعرض صورا و نكتا مسيئة للرسول كانت الكلمات بالعربية و لم يكن الطلاب يفهمون الكلمات و لكن نور تفهم كل شيء ... كل تلك الكلمات التي تصرح مباشرة بتلك الإساءه لشخص الحبيب صلى الله عليه و سلم ... شعرت حينها و كأن سهما اخترق قلبها... فحبيب قلبها يهان أمامها... لكن معظم الطلبة لم يكونوا يدركون ما يفعلونه و ليس مثل دانيال الذي كان يتخبط ضحكا و يراقب قسمات وجه نور بينما لازلت سوزان و ميرنا لم تفهما شيئا مما يحدث... لم تتحمل نور ما رأته فوقفت و صرخت فيهم بقوة: توقفوا ... أوقفوا ذلك الشريط ...

ثم انهارت بالبكاء و اجتثت على ركبتيها من هول صدمتها: أرجوكم توقفوا ... و من دون أن تفهم سوزان أي شيء انطلقت نحو جهاز التحكم و اغلقت الشاشة

... كانت نور غاضبة جدا... و ما لبثت أن تعال صوت بكاءها و هي تقول:ماذا تعرفون عنه؟ بما آذاكم حتى تؤذوه؟

فاقتربت منها سوزان تقول لها: إهدئي يا نور ما الذي تتحدثين عنه؟...

-ألم تفهمي بعد... كل هذه الأشياء تسيء لذلك الشخص...

-عن من تتحدثين؟...

-ذلك الشخص الذي حدثتكم عنه من قبل... الذي علمني كيف أحب و أسامح و أتعامل بلطف مع الناس... علمني قيمة العلاقات... علمني أن أرد إساءة الناس بالحسنة... علمني أن أساعد الجميع و أحافظ على الأمانة... أن لا أكذب...و لا أنافق... أن أراعي مشاعر الجميع... علمني السلام و حب الخير للجميع... علمني أن السعادة تتمثل في ابتسامة أرسمها على وجه الآخرين... فكيف أتحمل اليوم أن أراه يهان أمام عيني... لماذا يحدث هذا؟.

لم تتمالك سوزان نفسها فقد كانت مشاعر نور التي تظهر من بكاءها كنار تجمر على قلبها و أصبحت تبكي معها... و تقول لها:أنا آسفة يا نور...

-لماذا تتأسفين أنتي...لماذا يقف المجرم بهدوء و كأنه لم يفعل شيء و أنتي تتأسفين ما ذنبك؟..

قاطعهم صوت دانيال الصارخ: هراء ... كل ما قلته كذب ... فأنتم لا تعرفون شيئا غير القتل و الإجرام و الإساءة للناس ...

ردت عليه نور بحدة: و ما دليلك على ذلك ؟

-كل شيء ... التفجيرات و القتلى في كل سنة و سببه الإرهابيون أمثالكم ...

-إرهاب إرهاب إرهاب ... سمعت هذه الكلمة آلاف المرات منكم ... لماذا تنسبون لنا هذه الصفة نحن لم نفعل لكم شيئا ...

- تمثيلية جيدة ... تلك الراية و تلك الملابس تكفي لأثبت أنكم أنتم المسلمون وحوش و إرهابيون ...

-و ماذا في ذلك أستطيع أن أحمل صليبا و ألبس لباس راهبة و اقتل الناس فهل ستدعوني إرهابية حينئذ ؟

-حجة بالية و رغم ذلك لم يحدث هذا أبدا ...

- لا أستغرب جهلك فكل أفعالك تدل على ذلك لكن دعني أذكرك ... فرنسا ... بريطانيا ... إيطاليا ... ألمانيا و أمريكا جميعهم احتلوا البلدان العربية لسنوات كثيرة و قتلوا منها الملايين ... فهل هذا لا يعد إرهاب في نظركم؟ هل الإرهاب فقط أن يرتدي شخص ملابس سوداء و يرفع راية الإسلام؟ هل الإرهاب اذا قتل شخص غير مسلم أما أن يقتل ملايين المسلمين فهذا لايعد إرهابا ؟ لا أحب أن أتورط في تفكيرك العنصري و لكن يجب عليك تتذكر كل ذلك قبل أن تتهمنا بالإرهاب ... أما ديننا فهو ضد القتل و من يقتل أي نفس فكأنما قتل الناس جميعا و من ينقذها فكأنما أنقذ الناس جميعا ... "المسلم من سلم الناس من لسانه و يده" هذا ما قاله الرسول الأكرم الذي كنت تهينه قبل قليل ...و هؤلاء الذين يحاولون تشويه الإسلام و ينسبون

أنفسهم إليه و يقتلون الناس على أنهم مسلمون فهم لا يمثلوننا في شيء و الإسلام لا يعترف بهم ....

صمت دانيال لبرهة يستجمع فيها ردا على كلام نور: أكاذيب تريدين القول أن دينكم يدعوا للسلام ... ماذا عن الجهاد إذا؟ ألم يأمركم دينكم في ذلك الكتاب الذي تقدسونه بأن تجاهدوا و الجهاد هو الحرب و القتال ...

-أولا لتعلم أن الجهاد ليس فقط في الحرب ... هناك جهاد العلم و جهاد الأموال ... و ثانيا جهاد الحرب هو أن تجاهد في الأماكن التي فيها حرب مثل فلسطين ... فلسطين التي انتهكت من قبل الصهاينة الظالمين و يقتل فيها الكثير من الناس و لكن لا تبالون فهذا ليس إرهابا و من الجيد أن تفتك أراضي العرب و يموت شعوبها و هذا ليس إرهابا ... و لكن إذا قرر العدو الحرب فمن واجبنا الدفاع عن أنفسنا و الدفاع عن كل مستضعف ... في أفلامكم تمجدون البطل الذي يحارب الشر و يقتل الظالم و يدافع عن الناس أما إذا فعل المسلمون هذا فهم إرهابيون ... هذا لأن عقولكم مكبلة بالعنصرية و أن حقدكم يمنعكم من الإعتراف بالحق ... و لتعلموا أن من يدعون الجهاد و يقتلون الأبرياء فهم كاذبون و منافقون و لا يمتون للإسلام بصلة ... كيف و الإسلام نهاهم عن ذلك ؟ فلماذا تتهمون الإسلام بأفعالهم الشنيعة ...

عندها تكلم شاب من الطلبة: و لكن دينكم يرفض جميع الأديان و يعتبر كل شخص غير مسلم أنه كافر و أن يجب أن يموت

- من أخبرك بذلك ؟ سأقول لك أمرا و يمكنك أن تبحث في الإنترنات لتتأكد ... في الإسلام هناك 6 أركان للإيمان ... 6 أركان أساسية لا يمكن الإستغناء

عن أي منها و أي مسلم يترك أي ركن يعتبر إيمانه باطل .. و هي الإيمان بالله و الملائكة و القضاء و القدر و اليوم الآخر و الكتب السماوية أي بالأديان و الرسل أي بجميع من أرسلهم الله ليس فقط محمد بل و موسى و عيسى ... نحن مسلمون لأننا نقبل بجميع الأديان و نؤمن بوجودها إنما فقط قد حدثت بعض التحريفات عليها من بعض البشر و نحن صححنا هذه التحريفات فقط ...أما عن التكفير فلا أحد يحق له أن يقرر من الكافر و من لا ... وحده الله من يحكم بذلك ...

بدا جميع الطلاب مهتمون بالحوار و خاصة و أن نور كانت تتكلم من جوارحها المجروحة بسبب ما حدث و الدموع لازالت تقف على جفونها و شهقة من القهر تقف عند باب قلبها فتخرج الكلمات منها أسهم تصيب قلوب من يسمعها ...

- و ما أدراكم أن هذه التصحيحات صحيحة ... لا أقصد محمدا ... ربما قام أشخاص بعده بالتحريف إيضا ...
- أولا نحن نثق في القرآن و لا أحد يمكنه أن يثبت أي تحريف في القرآن و لا أحد يمكنه أن يغير فيه شيء و من المستحيل أن تجد نسختين مختلفتين من القرآن أما سنتنا فنأخذها مما وافق القرآن ... و من يحرف يكون له غاية سيئة و لا نجد أي شيء سيء مما نتلقاه في ديننا ...كل الأوامر تنظم لنا حياتنا و تخدم مصالحنا و تساعدنا على حياة كريمة ... الصداقة الأخوة و حسن الجار ... القسطاس المستقيم و الصدقة و عدم الربا ...هذا هو ديننا السلام و أول تحيتنا للناس أن السلام عليكم ...كان الرسول صلى الله عليه و سلم له جار

يهودي ... هذا الجار لم يتهاون أبدا في الإساءة لرسولنا و لكن رسولنا لم يرد عليه يوما و عندما مرض هذا الجار كان الرسول يزوره دائما و يطمئن عليه ...و لهذا نحن نحبه ... نحبه لأنه ألطف مخلوق و أجمل إنسان و أرحم شخص على وجه الأرض ... و الإساءة له تحرق فؤادنا فلماذا تفعلون هذا ...

عادت إلى نوبة البكاء بينما شعر جميع الطلاب بالأسف ... اقتربت سوزان و ميرنا منها و احتضنتاه و بكتا معها: لا تحزني ... هذه الأفعال الصبيانية لا يمكنها أن تأثر في الحقيقة صدقيني ...

نظرت نور نحوهما و قالت: أعلم هذا و لكني حزينة لأن هذا حدث أمامي ...

ثارت سوزان و كانت ستعاتب دانيال لكن نور أوقفتها و قالت لها: دعك منه ... الجدل معه لن يفيد بشيء و كما قال سيدنا عمر: لا تجادل الأحمق فقد يخطئ الناس في التفريق بينهما...

لم تعلم كيف نسيت نفسها و قالت الحديث باللغة العربية ... لم يفهمها أحد ما عدا دانيال ... الذي وقف من دون حراك و هو يتابع كل ما يحدث ...

سوزان: ماذا يعني؟

انتبهت نور لنفسها فردت عليها: لا شيء ...

-حسنا و لكن من هو عمر؟

- إنه صديق للرسول عليه الصلاة و السلام ...

ابتسمت الفتاتان ثم غادرن ...

أما عن دانيال

... كل ما حدث جعله يتأثر للحظة... لكنه رفض الاقتناع بأنه مخطئ... و تذكر عبارتها عن الأحمق... فعزز بذلك غضبه الذي خلفته تلك الهزيمة رغم أنه حقق مبتغاه في جعلها تبكي قهرا لكنه شعر أنها كسبت الجولة بأن جعلت الجميع في صفها و لكنه لا يستطيع تقبل الهزيمة يجب أن يفعل أي شيء... و شعر أنه يجب أن يضرب ضربة قاضية... و فكر في أسوء ما قد يفكر فيه... و لم يستطع الانتظار كثيرا ... عندما انتهى الدوام كانت نور لا تزال متأثرة بما حدث في وقت الغداء و رغم محاولات ميرنا و سوزان إخراجها من حزنها لم تستطع ذلك و ذلك ما جعلهما تستغربان من قوة ردة فعلها فلم تستطيعا تخيل مكانه الرسول محمد صلى الله عليه و سلم في قلب نور و لكن نور ردت عن دهشتهما بعبارة لم تستطيعا إن تضيفا بعدها أي سؤال لأنها جسدت الإجابة لكل أسئلتهما فقالت بصوت يرتجف بالحزن و الحزم و الثقة و الحب: إني والله أفديه بروحي و دمي و أغلى ما عندي...

جلس كل موظف على مكتبه و باشر العمل ... و بعد فترة قصيرة دخل المدير و على وجهه علامات الغضب ... و اتجه نحو مكان فرح ... قال بصوت شبيه بالصراخ: قفي ...

وقفت فرح من دون أن تجادل بأي كلمة ...

-هل صحيح أن هناك من ساعدك في عملك المرة الماضية ...

صدم جهاد من سماع ذلك و لم يستطع أن يتصرف بأي شيء ...

كانت فرح متعبة و مرتبكة جدا تقف خافضة رأسها و بصعوبة أخرجت صوتها لتجيبه: أجل...

تعال صوت المدير و هو يقول: و على ماذا تقبضين أجرك اذا ؟

-أنا آسفة يا سيدي

- لا يمكنني أن أغفر استهتار الموظفين و إلا سأحطم مستقبل الشركة بنفسي ...

لم يستطع جهاد الصمت أكثر فقال بشيء من الإنفعال: و لكن يا سيدي أنت تعلم أنها كانت مريضة بالأمس ...

نظر المدير نحو جهاد بغضب: اصمت أنت ... تتآمران علي و تحاولان غشي هل هذا ما علمكما إياه دينكم؟

انهارت دموع فرح بينما

شد جهاد على قبضته محاولا تمالك نفسه و السيطرة على غضبه خاصة و أن هذا الشخص يحاول إهانة الإسلام علنا ... و مع ذلك فقد اطلق اجابة حاول أن تكون في أقصى قدر من الهدوء: ديننا لم يعلمنا ذلك ... لكنه علمنا أن نساعد أي شخص يقع في مأزق و نقف بجانبه و لا نتركه في ورطة ...

- و هل تغشون الآخرين على حساب أنفسكم

- أيها السيد هذا لا يمكن أن يسمى غشا ... و لكن يبدو أنك تحاول جعله يبدو كذلك رغما عنه ... أنت تعلم إمكانيات الآنسة فرح جيدا و أظنك قد أخضعتها لإختباراتك قبل أن تقبلها في الشركة و هي أقدم مني في الشركة و لا أظن يخفى عليك كل ما انجزته منذ قدومها ... فقط لأنها إنسانة فهي مثلك و مثل غيرك معرضة للمرض و لا أحد يستطيع العمل و هو على تلك الحال و أنت شهدت حالتها بنفسك بالأمس ...

- لا يهمني ذلك فهذه الشركة لا تتسامح مع أي خطأ و من اليوم هي مطرودة من العمل ...

عظ جهاد على شفته من شدة غضبه ... اغمض عينيه... تنفس صعيدا ثم قال : و أنا أستقيل ...

ثم التفت نحو فرح و قال لها: آنسة فرح هيا بنا أنا أعدك أنني سأساعدك في الحصول على عمل أفضل من هذا العمل ...

كانت فرح تنظر نحوه في ذهول ... مسحت دموعها و سارت خلفه ...

بينما كانت ليانا في صدمة مما حدث ... أرادت التسبب في طرد فرح حتى تبتعد عن جهاد و لكن حدث العكس تماما ...

كانت فرح تسير خلف جهاد و بينهما مسافة لا بأس بها ... فجأة توقفت فرح ... انتبه عليها جهاد فاستدار نحوها متسائلا: ما الأمر ؟

لازالت نظراتها مثبتة نحو الأرض بينما تشد على أصابعها تعبيرا عن توترها و وجهه مكتس بعلامات الحزن و الأسف: أنا آسفة ... لقد خسرت عملك بسببي ...

- لا بل أنا الآسف فأنتي من خسرتي عملك بسبب أني ألححت على مساعدتك ...
- في كل الأحوال كنت سأخسر عملي ... لم أكن لأستطيع العمل و أنا على تلك الحال و اذا لم اعمل كان سيطردني و لأنك ساعدتني حدث نفس الشيء ...
- لا تقلقي سنجد عملا عما قريب بإذن الله...
- لست قلقة ... الحمد لله على كل حال ... أتعلم أظن أن ما حدث فيه خير لي ... لقد سئمت من تلك المعاملة ... كان دائما يبحث عن خطإ صغير حتى يطردني و ها قد وجده ... تشنجت عروقي و انا أحاول تفادي الأخطاء ... و لكني أثق في الله و أثق أنه لن يتركني وحيدة ...

صمت جهاد للحظات يستمد فيها الشجاعة ثم قال لها: فرح ..

تفاجأت فرح من كلمته تلك ... لم تكن أول مرة ينطق فيها اسمها و لكن كانت أول مرة ينطق اسمها من دون أن يسبقها بكلمة آنسة و الأهم أنها كانت أول مرة ينطق اسمها بتلك النبرة ... نبرة جعلت قلبها يتفاجأ منها و يدق بقوة ...

و بصعوبة ردت عليه: أجل ...

تنفس صعيدا ثم تكلم: فرح ما رأيته أمس ليس كما بدا لك ... صدقيني ... لقد كانت هي من باغتتني و لم أدرك بعد ما حدث و كنتي انتي قد رأيتي ما رأيتي ...

شعرت فرح بخجل شديد و ارتباك أشد فقالت بكلمات همهمة : و و لكن ل ل لماذا تبرر لي ما حدث ...

- لأنني لا أريدك أن تفكري عني بشكل سيء ... لازلت عاجزا عن إيجاد طريقة مناسبة لأطلب العفو من الله ما كان يجب أن أسمح بالبقاء معها في خلوة و أنا اعلم نواياها من قبل و الله قد حرم الخلوة علينا ...
- لا تقلق سيغفر الله لك فهو الغفور الرحيم كما تعرف ... و لا داعي لتبرر لي فأنا أعلم اخلاقك منذ دخلت الشركة ...

ابتسم جهاد في امتنان و غادر كل منهما إلى منزل برفقة موجة من الأفكار تغالبها موجة من المشاعر ...

....

بعد يومين رن جرس و فتح باب كان في طرفه الداخلي فرح بوجه تعلوه قسمات الحيرة و في طرفه الخارجي نور بإبتسامتها اللطيفة التي تميزها ...

بنفس الإبتسامة حيت نور فرح : السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

أحست فرح بالإئتلاف فردت بصوت هادئ: و عليكم السلام ... تفضلي

- أظن أنك انتي فرح أليس كذلك ؟؟
- أجل و من أنتي ؟
- أنا نور أخت جهاد

احمر وجه فرح بشكل ملفت و ردت بصوت مرتبك : مرحبا بك ... تفضلي بالدخوول ...

بقدر ما كانت عليه فرح من خجل كانت نور مغمورة بالجرأة و هي تحدق في فرح و في كل شيء يخصها ... كان بها شيء من الغيرة و القلق فهذه الفتاة قد تسرق منها أخيها الوحيد و تبعده عنها ...امتلأ رأسها بضجيج من الأفكار حجب عنها عبارات الترحيب التي تلتها لها فرح بسرور ... تراكمت عليها الأسئلة " ما الذي أعجب جهاد في هذه الفتاة؟ ما الذي يميزها؟ هل هي حقا بريئة من الداخل كما تبدو من الخارج ؟ لقد اجتهد جهاد كثيرا ليحصل على عنوان منزلها و جعل صديقه جون يتسلل إلى ملفات الشركة ليمده به كما أنه بقي يومين يلح عليها كي تزورها و تطمئنه عنها و تقترب منها حتى تكون هي الرسول بينهما فماذا قد يحدث بعد هذا ... هل سيتزوجها فتأخذه إلى مكان بعيد فلا تعود هي قادرة على الإرتماء في حضنه كلما شعرت بالأسى و أو ضايقها دانيال مرة اخرى .. اووه دانيال اسم جعلها تستيقظ من خيالها فتنفض عنها الوساوس مستغفرة و في حركة بلهاء لتدرك فرح و هي تسألها : هل تشربين القهوة أم الشاي ...

فتجيبها بشيء من الغرابة : قهوة من فضلك ...

لحظات و عادت فرح مع كوبين من الشاي ... ثم جلست الفتاتان تتبادلان اطراف الحديث ...

حديثا بدأته نور لتقطع حبلا قصيرا من الصمت المتبادل يغلب توتر فرح و خجلها ... بادرت نور: كيف حالك ؟

أجابت فرح و هي تشد على أناملها في ارتباك : أنا بخير الحمدلله و أنتي؟

ابتسمت نور و قالت ممازحة : نحن بخير نحمد الله ...

اشتد خجل فرح و هي تسأل : أنتم؟؟

ردت نور و هي تعدد بأصابعها: أنا و أمي و أبي و جهاد طبعا ...

ابتسمت فرح و قالت : هذا جيد و نعم بالله ..

لحظات و فتح باب المنزل لتدخل منه امرأة أربعينية ترتدي إسدالا بني اللون على وجهها ملامح الوقار و اللطافة يجتمعان ...

لقد كانت تلك المرأة هي والدة فرح و تدعى ياسمين ... والد فرح متوفى و هي تعيش مع أمها وحيدتان فأما ياسمين فهي تعمل مدرسة للغة العربي لمجموعة من الأطفال المسلمين و قد كانت فرح تساعدها في مصاريف البيت بعملها في الشركة أما و قد طردت من الشركة فهي لم تعد قادرة على مساعدتها ...

ألقت التحية في لطف بينما اقتربت منها نور و سلمت عليها في أدب و قالت : مرحبا بك سيدتي اسمي نور صديقة جديدة لفرح...

- مرحبا بك نور أظنك صديقة جديدة لها يسعدني التعرف عليك ..
- يشرفني التعرف عليكما ... سيدتي جهاد يلقي عليك التحية و يريد أن يطمئن عن حالك ...

نظرت المراة نحو فرح نظرة تحمل الكثير من المعاني بينما كانت فرح تصارع مشاعرها التي تغالبها على ذكر جهاد و كل ما يتعلق به ...

ردت الأم : اذا أنتي قريبة ذلك الشاب النبيل ... ابلغيه تحيتي و سلامي و اشكريه على مساعدته لإبنتي نيابة عني .. فلم أوفق لرؤيته حتى اشكره مباشرة ...

-ربما قد يزورك قريبا و يمكنك أن تخبريه بما تريدين ...

اتسعت ابتسامة الأم و أجابت : مرحبا به في كل وقت ...و لكن هل من داع ؟

- إن اخي يفكر في أمر فرح جديا و إذا لم يكن هناك أي مانع عندك أو عند فرح فهو يرغب في التقدم لخطبتها منك قريبا ان شاء الله ...

كلمات سافرت بفرح إلى الأحلام ... لا تزال لا تصدق ما سمعته ... لم تتوقع أن جهاد يحمل هذه النوايا ... لطالما ظنت أنه يعامله كأخ لها في الدين لا غير ... احمرت وجنتاها و اشتد بين مقلتيه لهيب اثاره مزيج مشاعرها الغامرة ...

كانت أمها تراقبها و تشكر الله تعالى في سرها على هذه السعادة التي منحت لإبنتها ... فقد حدثت فرح أمها عن كل شيء يخص جهاد و لم تكن لها أما فحسب بل كانت صديقة مقربة لها في بلاد وجدت نفسها غريبة و وحيدة كانت امها افضل صديقة لها و باحت لها حتى بمشاعرها و لم تتهاون في الدعاء

لها بأن يجمعها الله بهذا الشخص الذي أدخل إلى قلبها كل هذا الكم من المشاعر و لا تنكر أنها شعرت بقلق شديد على ابنتها من إحباط قد يساورها و يلازمها اذا ابتعد عنها جهاد و نسي أمرها و لازالت تدعو الله أن يتمم الأمر و تسير الأمور جيدا فتعوض ابنتها عن حرمانها الطويل من حضن أبيها بحضن رجل يحبها و يحترمها و يحميها فيكون لها الأب و الأخ و الزوج و ينسيها كل ما مرت به من صعوبات ...

لحظات مرت بها كل هذه الأفكار فتدرك الأم الأمر بسرعة و تجيب في رزانة و هدوء: القرار بيد فرح و إن كان في الأمر خير فنسأل الله أن يسهل فيه ...

ثم التفتت نحو فرح بعينين مسرورتين و سألتها بنبرة مطمئنة : فرح بنيتي هل توافقين على التعرف على جهاد أكثر و النظر في أمره كشريك لك في المستقبل ...

بالكاد سمعت فرح سؤال أمها فنبضات قلبها كادت تحجب عنها كل الأصوات ... و بالكاد استطاعت أن تحرك رأسها من الأعلى إلى الأسفل في حركة متكررة لتعلم عن موافقتها عن الأمر ...

انبسطت أسارير نور لذلك المشهد و شعرت بشيء دغدغ مشاعرها بلطف ... لم تعلم ما ذلك الشعور و لم تستطع أن تضع نفسها مكان فرح ... لكنها تحسست فرحتها ففرحت من أجلها ... تبادل ثلاثتهن أحاديث جانبية ثم حان وقت مغادرة نور و عودتها للمنزل ...

وقفت أمام المنزل و قبل ان تطرق الباب فكرت في كل ما حدث ... قالت في نفسها: ما الذي جعلني أفعل ذلك؟ألم أكن أنا من ترفض فكرة زواجه الآن ؟ فلماذا استعجلته و حتى جهاد لم يطلب مني كل هذا فقد كان مرتبكا و لم يستطع المبادرة بهذه الخطوة الطويلة ... لكنني أردت أن أقتصر عليه الأمور و أسهل له خطبته كما أنني شعرت بالراحة لفرح و أردت لهما ان يسعدا معا... أخشى أنني ارتكبت خطأ و قد يغضب مني جهاد "

اعتلت ملامحها علامات القلق من ردة فعل جهاد عندما تخبره بكل شيء ... و بالكاد ضغطت على الجرس و فتح الباب بسرعة غير متوقعة و كان يبدو أن جهاد وراء الباب يغالب انتظاره بصبر نافذ ... عندما رأته نور اشتد ارتباكها و برز قلقها الذي جعل جهاد يقلق كثيرا و يتوقع خبرا يحزنه ... فقال بلهفة : ما لك ؟ هل فرح بخير اخبريني؟

اجابت بصوت هادئ و لازالت على وجهها نفس العلامات : أجل انها بخير ...

تنفس قليلا ثم اردف : اذا مالذي حصل لما تبدين قلقة ؟

تجمعت على جفنيها بعض العبرات و نزلت منها على مهل و هي تقول : لقد ارتكبت خطأ و أعلم أنك ستغضب مني ؟

- ما الأمر؟
- أنا آسفة يا أخي ... لقد تصرفت بدون إذنك و تحدث مع والدة فرح بشأنكما

اشتد قلق جهاد و قال في انفعال: ماذا؟ و ما الذي قلته؟

- اخبرتهما أنك تنوي التقدم لخطبة فرح و ستزورهما عما قريب ؟

قال بصوت أكثر قلق و قد تشنجت مشاعره: و هل رفضا؟

أومئت نور برأسها نفيا ... لكن جهاد لم ينتبه و واصل كلامه بصوت حزين :

كنت أعلم أنها لن توافق بعد كل ما حصل ...

رفعت نور رأسها في ذهول و قالت بنبرة طفولية : لكنني أخبرتك أنها وافقت

اتسعت عينا جهاد في دهشة و لا يزال غير قادر على استعاب ما حدث و

قال و هو يمسك رأسه و يشبك شعره بين يديه حركة شخص لا يفهم ما

يحدث: نور لا تجعليني أجن و تحدثي بوضوح..

- بصراحة لقد شعرت أن فرح فتاة جيدة و عندما قابلت أمها لا أعلم كيف

انسابت مني الكلمات و أخبرتها بما تنويه رغبة مني في أن أقتصر عليك

الطريق للوصول إليها و عندما استشارتها أمها وافقت فرح عليك و كانت

سعيدة جدا بك و لكنني خفت أن تغضب مني لأنني تصرفت من دون

إذنك فأنت لم ...

قاطعها جهاد بضمة قوية بقوة سعادته و فرحته في تلك اللحظة و هو يقول

لها: اسكتي اسكتي أيتها المجنونة ... هل تعلمين أن شاب محظوظ لأن عندي

أخت مجنونة مثلك ... أنا حقا أحبك أيتها الصغيرة المشاغبة لن أنسى لك

هذه الفرحة التي قدمتها لي .. أعترف انني كنت جبانا و سلكت طريقا طويلا

و خشيت المواجهة السريعة لكنك سهلتي لي الريق و حققتي لي رغبتي في

أسرع ما يمكن لها ... شكرا لله ان وهبني اختا مثلك ...

كان واضحا ان نور لم تفهم نصف ما قاله جهاد ... لكنها كانت سعيدة جدا

لسعادته

خلال أيام قليلة غالب جهاد توتره و قام بزيارة فرح و والدته صحبة أمه التي كانت مرحبة جدا بهذا الإرتباط ...و تمت الخطبة بفضل الله و توجت هذه العلاقة بعقد قران يسمح لجهاد و فرح بالتقابل و التحدث معا في كل وقت ... و لم يزدهما القرب إلا قربا ... فقد كان في كل منهما ما يجذبهما لبعضهما أكثر كلما اقتربت المسافات ...

انتهت العطلة و عادت نور للجامعة و بعد يوم جامعي هادئ

كانت تجهز نفسها لتغادر عندما جاءتها إحدى الفتيات تتمايل و تتكلم كصغيرة مدللة قالت لها:كيف حالك الآن؟ نحن نعتذر عن ما حدث اليوم...

فأجابتها نور في هدوء : لا بأس...

-هلا أعرتني دفترك قليلا؟

-حسنا تفضلي...

ـــانتظريني سأدون بعض الكلمات التي لم أتداركها أثناء الصف و أعيده لن أتأخر...

-حسنا لا بأس...

بقيت نور حوالي نصف ساعة تنتظرها ... في ذلك الحين غادر جميع الطلبة و لم يبقى أحد في الجامعة... بعد أن انتهت الفتاة من تدوين ما تريد غادرت بعد أن شكرتها... و عندما كانت نور تغادر ... تفاجأت بوجود دانيال في الجامعة كان يقف في المدخل الداخلي و يراقبها من بعيد... شعرت نور بخوف و لكنها كتمت ذلك و خفضت رأسها و واصلت سيرها... و عندما مرت بقربه تفاجأت بيده تمسكها عندها أدركت أن الفتاة و كل ما يحدث هو من تخطيطه... نظرت إليه و الرعب يكسو وجهها و قالت له: اتركني... ماذا تريد مني؟

فقال لها: لن تغادري قبل أن نتحدث قليلا...

-دع يدي... لماذا تصر دائما على إمساك يدي ... هذا يزعجني كثيرا ... أنا أكرهك بشدة و لا أريد أن أتحدث معك ...

- و لكن الخيار ليس بيدك...

أرادت أن تصفعه و لكنه أمسك يدها الأخرى بقوة و دفعها فالتصقت بالحائط مما جعلها ترتعب كثيرا و فزعت بشدة...و هو يقول لها: هذا لا يفلح دائما

لم تشعر يوما بمثل ذلك الخوف في حياتها كانت ترتعش و تقول له: ما الذي ستفعله...

- ما أنتي خائفة منه بالضبط
- لا أرجوك دعني و شأني
- و هل نسيتي صفعتك لي كما أنك أشرتي لي بأني أحمق .. هل ظننتي أن ذلك سيمر بسلام...

فكرت نور في تلك اللحظة كيف فهم كلماتها ... و لكنه لم يكن الوقت المناسب لتتساءل عن ذلك كانت خائفة و يجب عليها أن تفلت منه بأي طريقة أو أنها لا تستبعد شيئا من أفكار هذا الحاقد... و هو لن يتردد في التعدي على شرفها... رغم أن دانيال لم يكن يدرك معنى ذلك لكنه قرأ في الانترنت عن قيمة ذلك للمسلمات فجعل الأمر سلاحا بيده للانتقام ... و لم تجد نور حلا سوى الاعتذار عسى أن يتراجع عن ما ينوي القيام به:

- -أنا آسفة أرجوك دعني أذهب...
- -سأدعك لكن بشرط
- ما هو؟
- يجب أن تركعي لي
- خسئت هذا مستحيل

- اذا لنر من سينقذك مني
- سينقذني الله من شخص مريض مثلك

فضحك بقوة و قال لها باستفزاز:

- فلنرى اذا مدى قدرة هذا الذي سينقذك

و القى بها على الأرض بقوة فجعلت هي تزحف إلى الوراء و هي تحاول أن تتفاداه بأي طريقة ... لكنه أدركها فانقض عليها و كبل يديها بيديه القويتين و اقترب منها كثيرا ثم قال لها بنبرة حقارة و لهيب أنفاسه يحرق وجهها المرتعب :

أظنك سوف لن تندمي ...

تمنت نور في تلك اللحظة لو ان ملك الموت ينزل بها و لا يحدث لها شيء مما تخشاه ...تمنت أن تحدث معجزة فتختفي و تعود إلى المنزل ... تمنت لو انها تستيقظ و تجد نفسها على فراشها لتعلم انها كانت تشاهد كابوسا مزعجا ... أغمضت عينيها و هي ترتعش من شدة الخوف و قالت: يا رب ساعدني ... يا إلاهي ما لي سواك انقذني بقدرتك يا رب...

كان دانيال يستمع لكلامها و يضحك منها ساخرا و هو يقول: أنا الوحيد الذي بإمكانه إنقاذك... إما أن تركعي لي أو تحملي العواقب..أمسك يديها بيد و كانت يده الثانية تتجه نحو حجابها... أمسكه بقوة و هم بنزعه و لكن أبعدته لكمة قوية جعلته ملقى على الأرض و صوتا قويا يقول: نحن لا نركع إلا لله...

صدم دانيال مما يراه.. إنه نفس الشاب الذي تعود أن يراه كل صباح مع نور... وقعت نور من هول الخوف و كانت تبكي بحرقة... بينما لم يتمالك جهاد نفسه و بدأ يضرب دانيال بقوة فلم يترك له مجال ليدافع عن نفسه...كان يضرب بدون أن يدرك الحالة التي أصبح عليها دانيال... و لكن نور استفاقت حينما رأت دماء دانيال على الأرض فصرخت في جهاد: أرجوك دعه يا أخي... ستقتله إن واصلت ضربه...

فرد عليها جهاد و عيناه تقدح غضبا تحت دموعه التي كانت تنهمر بغزارة:إنه يستحق ذلك يجب أن يموت ...

- لا يا أخي أرجوك لا يجب أن تصبح مجرما بسبب أي كان يجب أن لا ترتكب هذه الخطيئة...

لم يكن جهاد ينوي التوقف فقلبه كان يحترق من هول ما رآه... لم يتصور أن يحدث مثل هذا الأمر لأخته أحب الناس إلى قلبه لو لم يفكر في دخول الجامعة و البحث عنها عندما أدرك أنها قد تأخرت على غير المعتاد لما استطاع إنقاذها...لو لم يهده الله ليستطيع إنقاذ أخته لكانت قد خسرت أغلى ما تملك و لكان سيحرم من رؤيتها سعيدة مدى الحياة لا يمكنه تحمل رؤيتها محطمة حزينة لا يمكنه تحمل خسارة ابتسامتها و مرحها ... لكن الحمد لله الذي أجاره من هذا البلاء الشديد و مع ذلك لن يستطيع أن يسامح دانيال على ما فعله كل ذلك الضرب لم يشفي غليله عنه...و لكن نور كانت في أقصى حالات تعبها... و لم تعد تستطيع التحمل فوقعت مغشيا عليها و ذلك ما جعل جهاد يتوقف و يسرع نحوها و يحاول إيقاظها بسرعة و كانت هي

تحاول بصعوبة فتح عينيها... فحملها و هم بالمغادرة... و عندما مروا بجانب دانيال قبضت يدها على مئزر جهاد فتوقف قليلا ... فالتفتت نحو دانيال الذي كان مصدوما مما رآه و قالت له بصوت مشمئز تعلو عينيها نظرات حقد: هكذا أنقذني الله... و لكنك لم ترى بعد قدرته...

ثم غادرا...في ذلك الحين قرر دانيال الاكتفاء من كل ذلك...وقع على الأرض و نظر إلى السماء... لأول مرة يراها بهذا الشكل... شعر بأمر غريب...سرح بخياله بعيدا حاول أن يتفكر في كل شيء حوله... قطع تفكيره و قال في تنهيدة: أنقذها؟ هل هذا ممكن؟... تذكر جهاد و قال:إذا هو أخاها...ثم تذكر:نحن لا نركع إلا لله... ما مدى صمود هؤلاء؟ ماذا يسمى هذا؟...ربما ليسوا جميعا مثل بعض... تكاثرت عليه الأسئلة.. فمن سيجيبه؟...

لم يعد يريد التفكير كثيرا... لقد سئم ما يفعله... فكر أنه ربما قد ظلمهم... لم يكن متأكدا من ذلك... و لكنه قرر أن يدعها و شأنها...شعر بإرهاق شديد كل الكلمات التي سمعها كانت تصارع الحقد داخله ... فلم يعد قادرا حتى على تمييز مشاعره التي باتت مشتتة بشكل صاخب في عقله و لم يجد حلا سوى تجريد نفسه من التفكير في الأمر

مرت أيام و نور لم تعد تذهب إلى الجامعة بعدما حدث معها قررت أن تأخذ استراحة ... كان دانيال يشاهدها أحيانا أمام منزلها فيتجنبها لم يكن يريدها أن تراه... أحس في ذلك الحين أنه لا يريد أن يرى نظرة الحقد في عينيها نحوه... لكن لم يعلم لماذا... ربما شعر أنه ظلمها كثيرا... ربما ذلك هو ضميره يؤنبه...

في يوم من الأيام ... كان دانيال متجها للملهى فشاهد نور تجلس مع أطفال صغار...انتابه فضول شديد... أراد أن يقترب و يستمع إلى حديثهم... و لم يسيطر على نفسه... اقترب و اختبأ خلف اقرب جدار... فسمعها تحدثهم بلطف... كانت تعلمهم أن يستمعوا إلى والديهم و أن يدرسوا بجد... و كانت تحكي لهم قصصا كثيرة و هم محيطون بها و سعداء... نظر إليها فوجدها تبتسم رغم ان قسمات وجهها يعلوها شحوبا كان واضحا انه جراء تلك الحادثة و من دون أن يشعر وجد نفسه يبتسم و في قلبه شعور متقلب بين حزن و ندم لم يكن يدركهما ... ف

لكنه احتار في نفسه...بقي طويلا يراقبهم حتى نسي الوقت و نسي أصدقائه الذين كانوا ينتظرونه و لم يدرك نفسه إلا عندما شاهد جهاد يخرج و كانت هي تحدثه و هي سعيدة... انتابه شعور لم يستطع تفسيره...

و مر ذلك اليوم ... ليأتي اليوم الذي يليه... اليوم الذي سيغير حياة دانيال إلى الأبد...

كان دانيال يسير في الشارع حينما اصطدم به شخص ما... و ما إن التفت حتى وجد شخصا على وجهه لحية طويلة و كان يجري و على وجهه علامات ريبة... لم يتمالك دانيال نفسه فلحق به مسرعا ... و بينما كان يجري وجد نفسه في ركن خال ... و شاهد ذلك الشخص يزيل بابا كبيرا و يدخل وراءه ... فتبعه دانيال... دخل بهدوء فإذا به يجد نفسه داخل غرفة واسعة مثل المخزن... اختبأ وراء علبة كبيرة و بقي يراقب ما يحدث...شاهد ذلك الشخص مع مجموعة أخرى من الرجال مثله... كانوا جميعهم ملتحين و كان

بينهم رجل ضخم الجثة و قسمات وجهه مخيفة... و لكن ما صدمه أن ذلك الشاب الذي اصطدم به نزع لحيته المزيفة بينما كان يلهث و هو يقول لهم:نجوت بصعوبة...

ويسأله أحدهم:ماذا جرى ؟...

-كدت أهلك... لقد وقعت لحيتي و شاهدني أحد أفراد الشرطة و طاردني... و بالكاد استطعت الإفلات منه...

-ما كان عليك أن تحلق لحيتك ... و إلا لما حدث هذا...

-لم أستطع تحملها دائما أشعر بالحرارة عندما أركض بها...

-أنت ستضيع علينا كل جهودنا باستهتارك...

-لا تقلق خططنا ستنجح و سنبث الرعب داخل هؤلاء الكفرة...

-أجل يجب أن لا ينعموا بالسلام...

كان دانيال يراقبهم ... تذكر الماضي فثار غضبا...لم يستطع تمالك نفسه... لكنه كان يعلم جيدا أنه لا يستطيع أن يفعل شيئا لحاله...لذلك أخذ هاتفه و هم بالإتصال بالشرطة... و لكن لسوء حظه لم يصل لفعل ذلك إلا و كانت هناك يد تأخذ منه هاتفه...التفت فإذ بذلك الشخص الضخم يقف قربه و هو يمسك بهاتفه و يرمقه بنظرة مخيفة...لكن دانيال متهور جدا... هاجم الرجل و كان رد الرجل بلكمة كادت تفقده وعيه... ثم أخذ أحدهم بندقية و أشار بها نحو رأس دانيال...عم الصمت و ذلك الشخص يقترب من دانيال و ما كاد يضغط على الزناد حتى اقتحم المكان مجموعة من الأشخاص يرتدون كمامة و

بسرعة أطلقوا غازا منوما... فتخدر دانيال و لكنه فرح لأن الشرطة أدركته قبل أن يقتلوه...

فتح عينيه و كان يريد أن يعرف أين هو ... و هنا كانت الصدمة... وجد نفسه في سجن مع نفس الأشخاص و آخرون لم يرهم من قبل...فزع دانيال... و انطلق نحو الباب يضربه و يصرخ:أخرجوني من هنا أنا لست إرهابي... أخرجوني من هنا...

فتكلم أحد أفراد تلك العصابة و هو يضحك ساخرا منه:أنا أيضا لست إرهابي...

و بدأ الجميع يضحكون ما عدا شاب يجلس وحده في هدوء و رجلين تبدو عليهما علامات الحزن...

لكن دانيال لم يبالي بهم بل واصل الصراخ:أين أنتم... أخرجوني من هنا... سيقتلني هؤلاء القتلة...

فتكلم نفس الشخص:لا تقلق هذا لا يهم الآن... تبدو محظوظا جدا... و عادوا للضحك...

شعر دانيال بيأس شديد... و لم يجد نفسه سوى يلكم الجدار حتى سال الدم من يده...

مر بعض ساعات ثم فتح الباب...و دخل مجموعة من الشرطة فقفز دانيال نحوهم و قال لهم :سيدي أرجوك أخرجني من هنا أنا لست إرهابي لقد أسأتم فهم ما حدث...

فدفعه أحدهم بقوة و قال له:كلهم ليسوا إرهابيين... هذا ما يقولونه...هل نصدقكم جميعا...

-لكن أنا حقا لست إرهابي...

-كل الأدلة ضدك...

-لكن...

-اصمت... يجب أن تخبرونا عن جميع خططكم و عن مكان بقية حلفائكم...أو ستتحملون ضريبة صمتكم...

دانيال:لكن أنا لا أعرف شيئا... أرجوك سيدي استمع لحكايتي ثم احكم بنفسك...

-أجل أجل ... سنستمع لكم جميعا و لن نصدق إلا من يخبرنا ما نريده نحن...و الآن نترك لكم الخيار... فكروا إن كنتم ستخبروننا أو سنرغمكم على ذلك بالقوة...

ثم غادروا ... فوقع دانيال على ركبتيه و كان سيجن من هول المصيبة التي حلت به...

ثم لفت انتباهه ذلك الشاب الذي كان يجلس في هدوء...كان يقوم بحركات غريبة بالنسبة لدانيال... ثم بدأ يصلي في هدوء و لم يكن تبدو عليه أية علامات خوف... و لم يشعر بنفسه كيف بقي يشاهده حتى انتهى فاقترب منه وقال له:كله بسببكم... أنتم سبب كل الدمار الذي يحصل...

فالتفت إليه الشاب و لم تمحى علامات الهدوء من وجهه و قال له: من نحن؟

فأجابه: أنتم المسلمون الوحوش...

-هل أنت متأكد؟

لم يعلم دانيال لماذا شعر حينها بالارتباك...في لحظة عادت به ذاكرته إلى نور و سأل نفسه حينها :هل أنا متأكد؟...ثم استفاق و قال له: هذا واضح...فهذه الغرفة شاهدة عليكم...

ابتسم الشاب و قال له: و هل أنت مسلم؟

ازداد ارتباك دانيال و قال:لا ...

-إذن كيف جزمت أن كل هؤلاء مسلمين...و ما الذي يؤكد لك أنهم جميعهم مذنبون؟

-لو لم يكونوا كذلك لما وجدوا هنا ثم إنه يبدو واضحا أنهم مسلمون...

-و هل أنت مذنب؟

كانت أسئلة الشاب ذكية حتى إنه بدا من خلف أسئلته و كأنه يجيب عن الأسئلة التي كانت تشغل بال دانيال و كان يخفيها... فقال له دانيال :بالطبع أنا لست كذلك...

-إذا لماذا أنت متأكد أنهم مذنبون...

-لأنني أنا قد حدث معي أمر قد جعلهم يسيئون الفهم..

-حقا... ربما هؤلاء أيضا أسيء فهمهم...

-هذا لا يحدث مع الجميع

-هل كل الناس جيدون ماعدا المسلمون؟..

-ليسوا كلهم...

-إذا ما علاقة الدين بطبع الناس؟

شعر دانيال كأنه حوصر من قبل هذا الشاب فبادر بسؤاله: من أنت ؟...

فرد عليه الشاب بعد أن أطلق تنهيدة و قد اتكئ برأسه على الجدار : أنا علي قادم من سوريا سافرت هنا لأعمل كي أوفر مالا لأعتني بأمي و إخوتي الصغار...و لكن و أنا في المطار جاءني أحدهم و طلب مني أن أفجر المطار و آخذ مال يكفي عائلتي طوال حياتهم لكنني رفضت ذلك... لم أعلم في حينها أنه عندما كان يقدم لي الحقيبة كان المسؤولين يراقبوننا من الكاميرات التي في المطار و رغم أنني لم أقبل بها إلا أنني اتهمت إنني إرهابي... و لم أجد نفسي سوى مكبلا و ملقى في هذه الزنزانة...

و ما لبث أن نزلت دمعة غريبة من عينيه... شعر دانيال حينها أنه يخفي حزنا كبيرا داخله...

فقال له:و من سيعتني بعائلتك في غيابك الآن...

فتنهد و قال له: الله سيعتني بهم...

في تلك اللحظة تذكر دانيال كلمات نور:الله سينقذني...

كانت هذه أول مرة يصدق فيها دانيال كلام مسلم... لم يعلم السبب و لكن ربما نور قد أثبتت له أن الإسلام ليس له علاقة بجنوح هؤلاء الإرهابيين...

شعر بنفس الشعور الذي أحسه ذلك اليوم... ندم و لكن فيه شعور آخر...غير الحوار لأنه لم يرد أن يتفكر كثيرا في الأمر و كأنه يخشى الحقيقة...و كأنه يخشى أن يكتشف أن تلك الأمور السيئة التي قام بها هي خطأ فادح...

في تلك الليلة عاد نفس الحلم لدانيال...تلك الظلمة و ذلك الجدار... و لكن هذه المرة...عندما ركض و اصطدم بالجدار تحطم... و كان خلفه ضوءا مشعا

و عم النور تلك الظلمة و كان دانيال يقف مندهشا...استفاق من نومه... ففوجئ بعلي يصلي ثم جلس و قرأ بعض الآيات...و ما إن انتهى تقدم منه دانيال و سأله و كانت تبدو عليه علامات الحيرة:ماذا يعني هذا ؟

-ماذا تقصد ؟

-أرى أشياء غريبة و أنا نائم...لماذا يحدث هذا ؟

-ماذا رأيت ؟

و أخبره بكل شيء... فقال له علي: ربما سيأتي يوم و تعلم سبب ذلك وحدك...

لم يفهمه دانيال و عاد للنوم...في الصباح قدم أفراد الشرطة و أخذوهم إلى غرفة أخرى...كان كل منهم في غرفة صغيرة متفرقة عن الأخرى...و كل شخص يحيط به مجموعة من الشرطة يستجوبونه...

كانوا يستجوبون دانيال و في كل مرة كان يجيبهم بأنه لا يعرف شيء و أنه لم يفعل شيء... لكنهم لم يصدقوه فقاموا بجلده لمدة ساعة كاملة حتى انهار تماما و لم يكن يجيبهم... فكيف يجيبهم و هو حقا لا يعرف شيء... تركوه حتى استفاق و عاودوا سؤاله و كان نفس رده...فقاموا بنزع ملابسه عنه و تركوه في سرواله الداخلية ثم أخذوه إلى غرفة غريبة... و ما إن أغلقوها حتى عم البرد أرجاءها... شعر دانيال بأطرافه تتجمد حتى كاد يهلك من شدة البرد... و بعد حوالي 5 ساعات تغيرت الغرفة فأصبحت ساخنة... في البداية شعر دانيال بالدفء و لكن ما لبثت حتى ازدادت درجة الحرارة فشعر و كأن

دماغه ينصهر داخل رأسه... كان عذابا شديدا ما تعرض له دانيال... و الأسوأ أنه لم يكن يملك أملا في أن تنتهي مأساته هذه..

. مرت 3 أيام و دانيال على تلك الحال...و عندما أخرجوه تفاجئ بأن علي يخرجه بعض الأشخاص من الغرفة المجاورة له...

في ذلك الحين انتبهت سيرين على غياب دانيال ...في البداية ظنت أنه كان يبيت في الخارج... و لكن عدم رده على اتصالاتها أثار ريبتها و فزعت كثيرا... و أحست أن هناك مكروها أصابه...لم تعلم ما تفعل فتوجهت لبيت جيرانها حيث نور و جهاد و والديهما... طرقت الباب و كانت فزعة جدا و تبكي...و عندما رأوها على تلك الحال شعروا بقلق شديد... فأدخلوها و هدءوا من روعها... و عندما أخبرتهم بالحقيقة لم يعلموا ما يفعلون... كانت حزينة جدا فقامت نور بمواساتها بينما وعدها جهاد أنه سيحاول البحث عنه... متناسيا لما حدث...رغم كرههم الشديد له كان يجب أن يساعدوا سيرين لأنها كانت طيبة جدا معهم و هي لا تستحق العذاب...تذكرت نور ما حدث معها و كل شيء تعرضت له بسببه و شعرت أن دانيال يعاقب على كل شيء قام به...

في ذلك الحين كان دانيال و علي و كل شخص في السجن منهارون تماما بسبب ذلك العذاب الذي تعرضوا له... كانوا ملقين على الأرض و دانيال يفكر في مصيره...فتفاجئ بعلي يقف بصعوبة و يعيد نفس الحركات ثم يبدأ بتأدية الصلاة...في تلك اللحظة شعر بالانزعاج...و عندما أكمل الصلاة و قرأ بعض الآيات من كتاب صغير كان يحمله و عاد ليرتاح...تقدم دانيال و قال له في انزعاج:ألم تيأس بعد؟ هذا غباء منك؟

علي هادئ كعادته: لا يوجد في قاموسي كلمة يأس...

كان دانيال مندهشا من ثقته:و ماذا جنيت من هذا ؟

-كل شيء جميل...

- هذا واضح...إني أرى معك الجمال...

-إن بعد العسر يسرا...

-إلى متى ستتحمل هذا العسر...لو كان إيمانك يجدي نفعا لما وصلت لهذه المرحلة...

-أنت مخطئ لأن إيماني بجدي نفعا وصلت إلى هذه المرحلة...

-ماذا تقصد ؟

-إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه...

- و هل يحبني أنا ؟

-ربما و ربما ما يحدث معك هو سبب آخر...

-كيف ؟

-المصائب تأتي إما بلاء أو عقاب أو خير...

-كيف خير ؟

-يعني عندما تكون ستتعرض لأمر أسوأ مما تعرضت إليه الآن...

-بلاء...عقاب...خير

قالها و قد أزاح ناظريه عن علي و كأنه كان يتفكر في تلك الكلمات و معناها...فالتفت إليه علي و قال له:ربما فعلت أمرا سيئا في حياتك...

عندها تذكر دانيال نور و ما حدث معها... و أضاف علي:ربما ظلمت أحدا و ترك أمرك لله كي يعاقبك...

عندها ترددت في أذنيه كلمات نور:حسبنا الله و نعم الوكيل...

لم يدري لماذا لكنه شعر في حينها أنه يجب أن يتكلم...شعر بأنه الوقت المناسب ليعبر عن ما يجول في خاطره...فصمت برهة ثم قال:كنت صغيرا عندما حدثت تلك الحادثة التي زعزعت راحتي...شاهدت بعيني أبي يرمى وسط لهيب النار و تلتهمه أمامي...كانت صدمة كبيرة لي...تذكرت حينها كلمات أمي عن الإله...فطلبت منه أن يعيد أبي و لكنه لم يستجب لي... و بسبب تلك الصدمة لم أعلم كيف حدث...لقد فقدت إيماني بتلك الأشياء لم أجد العدل الذي كنت أنتظره ... لم يمسك أحد بأولئك المجرمين مات أبي و مات معه حقه و لم يكن هناك عدل إلاهي يجعلني أطمئن ...

ابتسم علي ابتسامة شبيهة إلى حد ما بالضحكة و قال له:طلبت من الإله أن يعيد شخص ميت و عندما لم يستمع لك فقدت إيمانك و عن أي عدل تتحدث؟ من أخبرك أن الدنيا دار عدل كامل؟ ...

-كنت صغيرا و تحت تأثير صدمة ثم ألا يجب أن يكون هناك دائما عدل؟...

- حسنا فيما يخص العدل لو كان هناك عدل كامل في الحياة لما أردناه فهو سيكون حتما نهاية للحياة الأبدية التي نريدها ... و الحياة الأبدية هي في الآخرة و الآخرة هي دار العدل الأبدي ... هناك الكثير من العدل في هذه الحياة و لكنه ليس كاملا و دائما ما يتوغل السيء و يظلم كيف يشاء و لكنه لا يعاقب في الدنيا على ما يفعله لأن ما ينتظره في الآخرة أعظم من العقاب

...ثم لو كان الأموات يعودون بدعوة لما مات أحد...يجب أن تعلم هناك قوانين لا يمكن المساس بها...

-لماذا تتمسكون بإيمانكم هكذا رغم أن الموت مصيركم...

-لأننا لم نخلق من أجل الدنيا و كلنا سنغادرها عاجلا أم آجلا...

-لماذا إذا؟

-إنها الآخرة...الحياة بعد الممات...الحياة الأبدية...

-و كيف تصدقون ذلك...

-إنها موجودة في القرآن...و لو لم تكن صحيحة لما وجد الموت...و لما وجد الحزن...

-هذه الأشياء غريبة...لا استطيع فهمها حقا...

-ربما لو تفكرت لوحدك...لوجدت الإجابة...فالكون منظم بطريقة متقنة جدا...فمن برأيك قام بهذا؟

-حقا لا أعلم...قرأت الكثير من التأويلات لفلاسفة كبار و لم يتفقوا على فكرة واحدة فلكل منهم رأيه و لا اعلم من الصادق منهم بل لم اهتم لذلك ابدا فكل ما كنت اهتم له ان اعيش كما أريد ...

ثم التفت إلى المصحف الصغير في يد علي و قال له:هل توجد الإجابة في ذلك الكتاب...

-أجل...بالنسبة لي و للمسلمين...

-هل يمكنني أن اقرأه...

-و لكنه بالعربية...

-لا بأس..يمكنني قراءته...

تفاجئ علي بسماع ذلك...و لكنه للحظة أحس بسعادة...و قال له:حسنا ... لكن بشرط...

-ما هو ؟

-يجب أن تتيمم قبل أن تلمس هذا المصحف...

-لماذا ؟

-إنه مقدس... و يجب أن تكون طاهرا عندما تقرأه...

-و كيف أفعل ذلك...

-حسنا اتبعني... و افعل مثلما أفعل... و وجد دانيال نفسه يقوم بتلك الحركات الغريبة التي طالما شاهد علي يقوم بها... و عندما انتهى...قدم له علي المصحف...و صدفة فتح الكتاب على سورة القيامة...بدأ دانيال يقرأ...شعر بشعور غامر غريب و هو يقرأ تلك الكلمات و انغمس معها و انغمس اكثر في معانيها و سرح بخياله داخل كل حرف فيها ...كان يقرأ :أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه... و من دون إرادة نزلت دموعه... و كلما قرأ كلما زادت في الانهمار أكثر و لم يعلم لما شعر بتعب شديد و هو يقرأ..."كلا إذا بلغت التراق... و قيل من راق.. و ظن أنه الفراق.....و التفت الساق بالساق...إلى ربك يومئذ المساق...فلا صدق و لا صلى... و لكن كذب و تولى...ثم ذهب إلى أهله يتمطى...أولى لك فأولى...ثم أولى لك فأولى...أيحسب الإنسان أن يترك سدى ... ألم يكن نطفة من مني يمنى ... ثم

كان علقة فخلق فسوى ... فجعله منه الذكر و الأنثى ... أليس ذلك بقادر على أن يحييا الموتى...

لم يتدارك نفسه و لم يسيطر على مشاعره...فأغلق المصحف و التفت فتفاجئ أن علي كان يشاهده و يبكي معه بنفس حرقته و نفس مشاعره

فأضاف:ما قصة هذا الشعور الغريب الذي يساورني .....

مسح دموعه و أخبره:ربما مع الوقت ستجد الإجابة وحدك...

كان علي يعلم أن دانيال لا يملك الطاقة لاستيعاب كل تلك الأشياء الجديدة عليه...و لذلك كان يتجنب أن يجيبه على كل شيء...

استند دانيال على الحائط و تنهد و قال:كنت أكثر شخص يكره الإرهابيين...اليوم أجد نفسه متهم بأنني منهم...و أنا من كنت أتهم كل المسلمين بأنهم إرهابيين...

نظر إليه علي نظرة تكسوها الحزن...لم يكن يعلم هل يحزن على نفسه و عائلته المشردة و تنتظر وصول مساعدته أم يحزن على هذا الشاب الذي أمامه...شعر بأنه محتار و ضائع...و أحس بأنه عاجز على قيادته إلى النور...و لذلك لم يجبه و بقي ينظر إليه...كان حزينا أغمض عينيه...و بدأ يتذكر ما حدث تذكر الذي باتت تحتل جزءا كبيرا من ذاكرته تمنى لو أنها معه ليتعلم من صمودها و طريقتها في مواجهة الصعاب... شعر أنها تملك مفتاحا لكل الهموم و المشاكل ترددت في ذهنه صور كثيرة لها ... عنيها بدموعها يوم الحادثة و غضبها يوم الفيديو و فرحها مع الأطفال و ثباتها ضد الطلاب ... لم يعلم لما قد يزوره طيف ذكرياتها في ذلك الوقت العصيب اطلق تنهيدة تعمل الكثير من

العبرات المكتومة ...أما علي فكان صامتا و كأنه ينتظر ما سيقوله دانيال في تلك اللحظة... و بالفعل فتح دانيال عينيه و حدثه عن نور و عن كل ما فعله معها و كيف أنهى ذلك بأسوأ ما قد يفكر شاب في فعله عندما حاول الاعتداء عليها و قد ندم على ذلك كثيرا...كانت تلك أول مرة يعترف فيها دانيال بأنه ندم على ما فعله مع نور و قد أعترف لعلي أيضا و أنهى حديثه بقوله:كنت أظن أن ذلك هو الخطأ الوحيد الذي قمت به في حياتي و لكنني أشعر الآن أن كل حياتي كانت مبنية على الأخطاء...لا أعلم لماذا...و لكن ما حدث قد حدث لا يمكنني أن أصلح شيئا الآن...

-من الطبيعي أن تفكر هكذا فأنت لم تتعلم ما معنى الأمل الذي نحيى به... و عندما ستعلم ذلك ستكتشف أنك لم تكن حيا و أنك لم تعرف طعم السعادة قبل ذلك و الأهم أنك ستعلم أن كل أخطائنا قادرون على إصلاحها...

-كيف ذلك؟

-لأن الإنسان بطبيعته يخطئ كثيرا و لذلك فإن الله جعل لنا بابا للتوبة مفتوح دائما...عندما نعترف بخطئنا و لا نعيده فإن الله يسامحنا و كأن شيئا لم يكن...

-و ماذا عن الأشخاص الذين نخطئ في حقهم؟

-إذا كان الله يسامح فمن نحن لكي لا نسامح ...

شعر دانيال بالأمان لسماع ذلك...و قال في نفسه:ربما ستعطيني الحياة فرصة لأصلح كل شيء...

و منذ ذلك الحين أصبح دانيال كالطفل الصغير...تخطر في باله أسئلة كثيرة... أمور لم يفكر فيها قبل...عن الحياة عن الكون عن الماضي و المستقبل... و لم يتهاون لحظة في السؤال عنها...و كانت أجوبة علي كحقن تطهر قلبه...في كل مرة يتغير شيء في داخله دبت الحيرة خواطره...شيئا ما في قلبه يجذبه نحو شيء لا يعلمه...كل ما يعلمه أنه يتمنى بكل جوارحه أن يكون قادرا على الرضاء بما يحدث له أن يستطيع تحمل الحزن و الألم كما يتحمله علي إنه يريد دخول هذا العالم الغريب بالنسبة له يريد أن يذوق الحياة كما يذوقها علي ...

تنهد بصوت مسموع و قال في نفسه: هل يمكن للإنسان أن يحافظ على هدوءه و هو في أشد حالاته سوء كيف يمكن أن يثبت علي قلبه على الصبر بهذه الطريقة لماذا يبدو الأمر صعبا جدا رغم أن علي يقوم به بكل سهولة لو لم نكن في نفس الموقف لاعتقدت أن الأمر هين و لكن لا فأنا و كل من هنا نعلم ما مدى سوء الوضع فأي قوة هذه التي يتميز بها هذا الشاب و من أين جائته...و مرت 3 أشهر...يتعرض دانيال و علي و من معهم في السجن لنفس التعذيب كل 3أيام في الأسبوع...و في كل مرة يعود فيها دانيال محطم الآمال ليجد عليا لا يزال يتمسك بالأمل و كأن شيئا لم يحدث و كلما سأله دانيال يجيبه:أنا راض بقدري و ليس لي سوى الصبر...قد يكون الموت مصيري و قد أنجو بعد حين و في كل الأحوال سأكون سعيدا فإما سأعود إلى أهلي أو سأعود إلى ربي...لكن ما أنا واثق منه أن هذا لن يدوم...

و يكون رد دانيال على ذلك بالصمت...في ذلك الحين حاول جهاد كثيرا البحث عن دانيال و قد تتبع إشارة هاتفه التي التقطتها الشبكة قبل ينتهي

شحنه فوجده ملقا في ذلك المخزن الذي تم فيه القبض على دانيال...و لم يعلم بعدها ماذا يفعل...بينما كانت نور تواسي سيرين و لم تتركها لحظة...

في نهاية تلك الثلاثة أشهر...لاحظ دانيال أن ملامح العصابة التي معهم كانت تبدو غريبة... و كأنهم يخططون لأمر ما...أما الرجلين الآخرين فقد علم دانيال أنهم من الأبرياء الذين ظلموا مثله...فكان الأول رجل يعمل سائق أجرة قام جماعة بدس قنبلة في سيارته و اتهم هو بذلك أما الثاني فكان شابا يعمل في مقهى و قد اتهم لأنه غادر المقهى قبل تفجيره بقليل...لم يبالي دانيال حينها بتلك العصابة لأن الأسئلة كانت تنهمر عليه في كل لحظة...و لم يشعر بالوقت كيف مضى و هو يتحدث مع علي...حتى إنه كان خلال أيام تعذيبه ينتظر بلهفة العودة للحديث معه...ليشعر بذلك الشعور الذي ينسيه الم العذاب...

في تلك الليلة كان دانيال نائما و علي يصلي بجانبه و كانت تلك العصابة مستيقظة و كأنهم ينتظرون أمرا ما... و فجأة صوت تفجير عم المكان... فزع دانيال و علي... كانوا يريدون معرفة ما يحدث و بدأ الصوت يقترب كثيرا و فجأة انهار الحائط و ظهر شاب وبدأ ينادي تلك العصابة و يخرجهم... عندها اغتنم الجميع تلك الفرصة و هربوا...حتى دانيال و علي ... في ذلك الحين مروا بجانب طاولة و كان عليها هاتف فأخذه علي و أغلقه و لم يكن دانيال قد انتبه على ذلك... لأن كل تركيزه على الخروج من ذلك المكان... امتلأ المكان بالجنود و بدءوا يحاصرون المكان و يطلقون النيران و في كل مرة كان دانيال و علي يختبئان في مكان ثم يغتنمان الفرصة و يهربان .. و أخيرا أصبحا خارج السجن...ركضا بسرعة نحو الغابة و لكن شاهدهما بعض الجنود فبدءوا

يطاردونهما...كان دانيال يركض في المقدمة و علي خلفه و الطلقات تتبعهم و أخيرا كان هناك هضبة مرتفعة قليلا و فيها حفرة كبيرة دخلا إليها و وضعا عشبا لكي لا يتفطن إليهما الجنود...

كان دانيال يلهث من التعب و نبضات قلبه تتسارع بين ذلك و بين الخوف من العودة لتلك المعاناة...صمت عم المكان و لم يبقى سوى وقع خطوات الجنود يبحثون عنهم... و بعد نصف ساعة من البحث تفطنوا إلى احدهم فغادروا لمطاردته ... حينها تنفس دانيال الصعداء و التفت إلى علي و قال له:أظننا نجونا...

لكن صدم من حالته...كان متعبا جدا و العرق بتصبب على جبينه و كان يتنفس بصعوبة...فزع دانيال و امسكه من كتفه و قال له:ما بك؟

كان علي ينظر إليه و يلهث و لم يكن يجيبه و عندما حرك دانيال يده كانت الصدمة الأكبر... لقد كانت ممتلئة بالدماء ... دماء علي...ارتبك دانيال كثيرا و شعر لأول مرة بشعور الخوف على أحد...وقال له:ما الذي حدث لك؟...ما هذه الدماء؟...

قال علي بصعوبة:لقد أصبت بطلقة في كتفي...

من دون أن يتردد هم دانيال بالخروج...في ذلك الحين فكر فقط في تسليم نفسه للجنود فقط لكي ينقذ علي...لأن ذلك هو الحل الوحيد ليستطيع معالجته...لكن علي أمسكه و قال له:لقد فات الأوان...فلا تفعل أمرا لا يجدي نفعا ستخسر و لن تجني شيئا...

-و لكن هذه طلقة في الكتف ستنجو إذا ما عالجناها...

-و في كليتي أيضا...

صدم دانيال كثيرا و سالت دموعه و قال له:ماذا تقول؟ لما لم تخبرني منذ البداية؟كان عليك أن تتوقف عندما أصبت...لما فعلت ذلك؟

-لن تعود فرصة أخرى لنتحرر...لم أرد أن أحرمك من حريتك...

-أتموت من أجل حريتي أنا...

-إما أن تعيش حرا أو لا تعيش ثم إنهم يقتلوننا لا محالة ...

-هراء...يجب أن نعالجك...

-توقف...مضت ساعة و أنا أنزف...لا أظن أنه مازال دماء في جسدي...و أنا اشعر بأن هذه نهايتي...

كان دانيال يبكي و هو يقول له:هل ستتركني أنت أيضا...ألم تقل بأن الله سيساعدك...

-و هل موتي يعني أن الله لم يساعدني...أخبرتك من قبل أنني سأكون سعيدا إذا عدت إلى ربي...

-و ماذا عن عائلتك...من سيعتني بهم..

بكى علي حينها...و قال:هذا فقط ما أنا قلق بشأنه...و لكن لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا...لعل الله يرسل لهم من يساعدهم...أرجوا أن ألتقي بهم في الآخرة...

أمسك دانيال يديه بقوة و قال له:ما اسم أبيك؟

-لماذا تسأل؟

ابتسم علي و كأنه فهم ما يجول في خاطر دانيال و قال له:عبد الله سليمان...

فقال له دانيال و قد ازدادت دموعه أكثر و قال له:أنا أعدك أنني سأجدهم و أعتني بهم إذا نجوت من هذا المكان...

فشعر علي بالراحة و قال له:الآن سأموت مرتاحا ... شكرا لك...

-أنا من يجب أن أشكرك...لقد تعلمت منك أمورا كثيرة...

أدخل علي يده إلى جيبه و اخرج الهاتف و قال له:

-تفضل هذا...اتصل بأهلك أو أصدقائك و اخبرهم بأن يأتوا لإنقاذك...لقد وجدته عندما كنا نهرب و أغلقته لكي لا يجدونا بسبب إشارته...

أمسك دانيال الهاتف و كان ينظر إليه ...فتكلم علي و قال:

-دانيال...

-نعم...

-رغم كل ما حدث معنا... فهناك أمر جيد حدث ...و هو لقائنا هذا...لقد دبر لنا الله هذا اللقاء لنكمل بعضنا...فمهما يحدث معك و مهما بدا سيئا فهناك جانب جيد فيه لذلك إياك أن تفقد الأمل...تعلم الإيمان...و تذكر أن ما يحدث مع المؤمن هو اختبار و أن إجابة هذا الاختبار هو الصبر و أن جائزته هي السعادة... و مهما حدث معك من أمور سيئة فلا تيأس و اجتهد و تعلم الخير...

-أعدك أن أحاول...

لحظات من الصمت..كان علي يتنفس بصعوبة... و دانيال ينظر إليه و يبكي بحرقة شديدة...ارتاح علي قليلا ثم قال:دانيال...سأموت الآن...و قبل ذلك أريد أن أطلب شيئا أخيرا...

-أجل تفضل...

-أريدك أن تكرم جثتي و أن تدفنني بالطريقة التي يقوم بها المسلمون...

كان يبكي و يقول:أجل أعدك

ابتسم علي ثم أخذ نفسا واحدا و قال:

أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمد رسول الله...

حينها أمسك له دانيال يديه بين يديه و تنفس و كأنه يستجمع أفكاره و مشاعره معا و قال له:علي...

التفت علي و لم يقل شيئا...

-علي...أنا أيضا... أشهد... أن... لا إله... إلا الله... و أشهد أن محمدا رسول الله...

في ذلك الحين خرجت روح علي بعد أن ارتسمت على وجهه ابتسامة سعيدة ...خرجت روح علي عائدة إلى ربها و دخلت روح دانيال إلى رحمة الله...

ضمه دانيال و بكى عليه كثيرا...شعر أنه قد فقد شيئا غاليا جدا...لم يظن يوما أنه سيحزن على شخص مثلما حزن على والده...و بقي على تلك الحالة إلى أن جاء الصباح...فتح دانيال الهاتف و لكن لم يجد تغطية...فخرج للبحث عن التغطية...و لم يشعر كيف سار بعيدا...في ذلك الحين كان الجنود منتشرون في كل مكان لازالوا يبحثون عن الهاربين...و بينما كان دانيال يسير...تفطن إليه أحد الجنود...و عندما أدرك دانيال ذلك فر هاربا ... و تجمع الجنود و بدأوا يطاردونه...كان هنالك منحدر فوقع دانيال و بقي يتقلب إلى أن وصل

إلى نهايته...بينما كان الجنود لازالوا يطاردونه...و كانوا يطلقون الرصاصة تلو الأخرى...فأصابته رصاصة في رجله...و مع ذلك واصل الركض...و اختبأ وراء صخرة...في ذلك الحين ظهرت تغطية على الهاتف...فأسرع و اتصل برقم أمه و لكنها لم تجب على اتصالاته...كانت خلال ذلك الوقت في بيت جيرانها و طوال اليوم تبكي على ابنها... و لم يكن هاتفها بجانبها...اتصل كثيرا و لم يجبه أحد...لم يدري ما يفعل حينها ماذا يفعل فلم يكن يحفظ رقم أحد غير والدته...فكر في الاتصال برقمه ثم تراجع قليلا لأنه يعلم أن هاتفه قد سقط منه في ذلك اليوم فكيف سيجده أحد...و لكن كان ذلك الحل الوحيد...

كان الهاتف أمام جهاد و هو جالس و في نفس المكان سيرين حزينة و نور تحاول تهدءتها...و فجأة رن الهاتف...لقد تعودوا على اتصالات أصدقائه ...و لم يتوقعوا شيئا غير ذلك...أمسك جهاد الهاتف و لاحظ لأول مرة رقما غير مسجلا يتصل فأسرع و رد على الاتصال...و لم يكد يتكلم حتى سمع صوت دانيال المتعب:ألو...هل يسمعني أحد...

في ذلك الحين تفاجئ دانيال حينما سمع صوتا يرد عليه و يقول:دانيال...

بينما انتفضت سيرين و قفزت مسرعة نحو الهاتف و كأن روحها قد عادت إليها...

شعر دانيال أن الصوت مألوف لكن الأهم أن ينجوا قال له:من أنت؟

-أنا جهاد أين أنت؟ نحن نبحث عنك منذ 3 أشهر و والدتك في حالة يرثى لها من القلق عليك...

-أنا مصاب و أنا الآن مختبئ في الغابة القريبة من سجن المخابرات...

-ما الذي تفعله هناك...

-سأخبرك لاحقا...

أغلق جهاد الهاتف و أسرع نحو الشرطة و أخبرهم كل شيء... ثم ركب معهم و ذهبوا للبحث عنه...مرت ساعة كاملة و دانيال مختبئ...كان قد ربط رجله المصابة و مع ذلك اشتد عليه الألم و لم يعد يحتمل أكثر...و بعد صمود طويل أغمض عينيه و قال:هل سيعطيني الله فرصة ؟...

و خر مغشيا عليه...

فتح عينيه فلاح له وجه بين الضباب الذي غشيهما...بدأ يفتحهما ثم يغلقهما و يكرر ذلك حتى اتضحت له الصورة...كان وجه والدته..لم يصدق ذلك...للحظة ظن أنه يحلم حلما جميلا...و لكن لم يستطع أن يكذب لمسات يديها و قطرات دموعها على وجهه و هي تضمه و تقول:شكرا للرب...أنت بخير يا بني...

فتنفس دانيال الصعداء و قال بكلمات عربية :حمدا لله لقد نجوت...

لم تستوعب سيرين تلك العبارة و تفاجأت منها و لكنها لم تفكر كثيرا فيها و لكن جهاد الذي كان متواجدا في الغرفة انتبه على ذلك و لم يصدق ما سمعه...ثم هم بالمغادرة لأن نور كانت تنتظره في الخارج للعودة معا للمنزل...لم ترد أن تدخل عندما تذكرت ما فعله بها دانيال...لم تستطع نسيان كل تلك الأشياء و لكنها جاءت بسبب سيرين و بقيت خارج الغرفة تنتظر...و عندما وصل جهاد إلى الباب و هم بفتحه أوقفه صوت دانيال يقول له:

-جهاد... شكرا لك...

لم يلتفت إليه و قال:عفوا...

و عاد ليفتح الباب و لكن دانيال أوقفه مرة أخرى و قال:أرجوك انتظر لحظة...أرجوك ساعدني...

لم يفهم جهاد قصده و التفت إليه و قال:ماذا تقصد؟

فأجابه دانيال:أريد أن أبدأ حياتي من جديد...كنت مخطئا كثيرا ...أريد أن أصلح أخطائي...و أحتاج من يدلني أرجوك ساعدني...

كانت والدته تراقبه مستغربة...هذا ليس دانيال الذي تعرفه ما الذي حدث له...انتبه دانيال إلى علامات وجهها فأمسك يديها و قال لها:أريدك أن تفهميني يا أمي...لقد أخفيت عنك أمرا منذ زمن طويل...أنا لم أكن مسيحي و لم أكن أؤمن بأي ديانة حتى لم أكن أؤمن بوجود الله...أما الآن فأنا اخترت...اخترت أن أكون مسلم رغم كرهي الشديد للإرهاب الذي كنت اعتبر أن مصدره الإسلام لكني اكتشفت أنني مخطئ عندما اقتربت من الإسلام و عرفته جيدا و قد أحببت هذا الدين كثيرا و إني لأرغب الآن أن أبدأ حياتي بتلك الطريقة التي رأيتها في هذا الدين ...فارجوا منك أن تحترمي اختياري...و حدثهم بكل ما حدث معه خلال 3أشهر التي مضت..

لم تستطع أن تجيبه و لم تعلم ماذا تقول...أما هو فقد عاد ينظر إلى جهاد الذي كان يقف مندهشا و هو يستمع لما قاله.. و كانت عينياه تنتظران إجابته و قد شعر بالسعادة عندما ابتسم جهاد و قال له:بكل سرور...

و منذ ذلك اليوم مات الملحد دانيال سجنان و ولد المسلم يوسف سجنان...لتبدأ قصة جديدة...قصة الخير...قصة الأمل...لم ينسى وعده لعلي...و

قام بدفنه كما وعده و ذلك بمساعدة جهاد...ثم بحث طويلا عن عائلته إلى أن وجدهم و تكفل بهم و قد استطاع بعد جهد أن يخفف عنهم حزنهم و صدمتهم على ابنهم الذي فارقهم و أقنعهم بأنه سيحل مكان علي و سيكون ابنا لهم و أصبح بذلك جزءا مهما من حياتهم

بعد ذلك عاد يوسف لمواصلة دراسته في الجامعة... استقبله أصدقائه بشوق و لكنهم لاحظوا تغيره ...حاولوا كثيرا أن يعيدوا إليه الحيوية التي كانت تعجبهم أرادوا أن يخرجوه من الهدوء الذي تملكه...و لذلك قرروا القيام بحفلة بمناسبة عودته و لم يكن يوسف في ذلك الحين قد رفض تلك الحفلة و هو لازال مشتتا لا يعلم ما يفعله و لا كيف يتصرف...و حان موعد الحفلة حضر جميع الطلبة من شباب و فتيات و كان جهاد من بين الحاضرين لأن يوسف كان قد دعاه لها...و قد كان خلالها يحاول البقاء بجانب جهاد رغبة منه في أن يعرف ما إذا كان ما يفعله صائب... كان جهاد في ذلك الوقت منزعجا جدا من الأجواء التي لم تكن تناسب أفكاره و لا نمط عيشه...و مع ذلك تحمل الوضع ليساند يوسف...اشتد الصخب و قام أصدقاء يوسف بجذبه بعيدا عن جهاد.... كانوا يحتسون الشراب و بدءوا يقدمون له الكؤوس و يطلبون منه النخب... كان يوسف محتارا و مشتتا لم يعلم ما يفعله... في داخله شيء يقول له أن هذا الأمر خطأ و أنه لا يجب أن يفعله و لكن نفسه اشتهت المشاركة و الشرب و عندما التفت لجهاد رأى أنه كان ينهاه فاعتذر من أصدقاءه و تركهم مصدومين من ردة فعله....عندما هم يوسف بالمغادرة اعترضته فتاة من الجامعة جميلة و فاتنة... اقتربت منه كثيرا و بدأت تحاول إثارته و إغراءه

بمفاتنها... كان مجمدا في مكانه و قد بدأت غريزته تتحكم فيه و لم يشعر كيف انجر وراءها و هي تحاول إخراجه من مكان الإحتفال و الذهاب به بعيدا ....

و كان يوسف ليقع في شباكها إلا أن جهاد أوقفه باتصال هاتفي و عندما رد عليه كان جهاد يقول له بصوت غاضب: لا تفعل ذلك...توقف ...

عندها خفض يوسف رأسه و قال للفتاة: أنا آسف ...اتركيني وحدي...

فنظرت إليه الفتاة بدهشة و قالت: دانيال ما الذي جرى لك... أنت ليس دانيال الذي أعرفه ... ما الذي غيرك ؟

عندها تنهد يوسف و قال بصوت مرتفع: اعذروني اصدقائي أريد أن أخبركم بأمر....

فتجمع الجميع حوله و عم الصمت المكان بينما بقي جهاد يراقب من بعيد...فبدأ يوسف التحدث:

-كلكم تعرفون دانيال...و لكن دانيال انتهت قصته منذ شهرين و بدأت محله قصة هذا الشاب الذي ترونه أمامكم و هو شخص مختلف تماما عن دانيال الذي تعرفونه...و الآن دعوني أقدم لكم نفسي...اسمي يوسف أصلي عربي و ديني هو الإسلام...

و ضج المكان و تعالت أصوات الجميع من حوله على إثر الصدمة بما قاله يوسف و لم يكن يميز ما يقولونه إلا عندما تقدم مايكل و هو أقرب صديق كان له...و قال: ما الذي أصابك؟ هل جننت؟ تأتي اليوم و تخبرنا أنك أصبحت إرهابي و نحن نعلم أنه لا أحد يكرههم مثلك؟ هل تمازحنا؟

و قال آخر: أظن أنه يمزح...

ثم بدأ الجميع يضحكون...

و قال أحدهم: لم نكن نعلم أنك تجيد التمثيل هكذا... أحييك يا صاحبي على هذا المقلب...

شعر يوسف حينها بالانزعاج فصرخ فيهم قائلا: كفى... أنا لم أقل أنني أصبحت إرهابي بل قلت أنني أصبحت مسلم... و لا علاقة لهذا بذاك...

اندهش الجميع من ردة فعله فقال له مايكل: و لكن ألست أنت من كنت دائما تلح كثيرا و تخبرنا أن المسلمين هم الإرهابيين الذين يقتلون الناس...

-هذا صحيح و لكن ليس بعد الآن...لقد كنت مخطئا...الإرهاب لا دين له...

و إن كان ينبغي أن يكون له دين فهو الجهل...

- و ما الذي غير تفكيرك هكذا...

-لقد تعرضت لأحداث كثيرة خلال الخمسة أشهر الماضية جعلتني أدرك أنني كنت مخطئا كثيرا... و بعد إتهاماتي الكثيرة للمسلمين بأنهم إرهابيين وجدت نفسي بعد كل ذلك متهم بأنني إرهابي... و تعرضت لتعذيب شديد كإرهابي بغض النظر إن كنت كذلك حقا و عجزت عن إثبات غير ذلك و لم أكن وحدي بل بعض المسلمين المظلومين مثلي بسبب أحكامنا المتسرعة عليهم أصبحوا مضطهدين و تطلق عليهم تهمة الإرهاب لمجرد حركات بسيطة تكون عادية إذا قام بها شخص غير مسلم... إن الخلل كان فينا إذ عجزنا عن التمييز بين الحق و الباطل و كما قال لي صديق لا علاقة للأديان بطباع الناس...

-حسنا فهمنا... و لكن ما الذي جعلك تغير دينك؟

-أنا لم أغير ديني...فلم أكن على أي دين حتى أغيره...

فدهش الجميع و واصل يوسف حديثه: بطريقة ما أصبحت أثق في كل ما يقوله دين الإسلام...بداخلي صوت ينهاني عن كل أمر خاطئ حتى لو كنت أحبه... و لكن رغبتي في الابتعاد عن الأخطاء هزمت كل رغباتي فيها...و لذلك فإنني قررت اعتزال نفسي القديمة...قررت أن ابتعد عن كل شيء كان يفعله دانيال في الماضي...

-هل ستبتعد عنا؟ هل هذا ما يأمرك به دينك؟

ابتسم يوسف و قال بصوت هادئ: لن أترككم...ستظلون أصدقائي إذا كنتم تريدون ذلك...و لكن فقط لا يمكنني مرافقتكم فيما تفعلونه و فيما عدا ذلك أنا أرحب بكم في كل وقت و حين... أشكركم على طيب خواطركم معي و على اهتمامكم بي... لم أستطع تفسير الأمر لكم جيدا و لهذا لن أستغرب صدمتكم و عدم فهمكم لكل ما قلته و لكن لا يمكنني أن أضيف أكثر... إن شاء الله ستفهمون ذلك يوما ما...و الآن أستأذنكم للمغادرة...

ثم غادر المكان و لحقه جهاد... و عندما أصبحا خارجا... توقف يوسف و أخذ نفسا عميقا و قال: لقد كان ذلك صعبا...

فوضع جهاد يده على كتفه و قال له: لا بأس...كل شيء سيمر و سيتعودون...

-لكن لماذا الإسلام يمنع كل تلك الأمور؟...

-الإسلام لن يمنع شيئا ذا فائدة و لن يحرمه إلا إذا كان فيه مضرة للناس... فأما الخمر يا صديقي فهو يذهب العقل و يخلف أمراضا و أوهاما تجعل الشخص بلا فائدة و ديننا الحنيف يمجد العقل و نحن يجب أن نحافظ على

سلامته لنعيش به و نموت به فنبعث به... و أما الزنا فكل الأديان تحرمه و تنبذه و الفتاة في ديننا غالية لا يجب أن تكون سهلة المراس لأنها مثل الأميرة مكرمة معززة و لا يحصل عليها إلا شخص واحد فقط يستحقها و تكون من حقه...

كان جهاد يشرح الأمر ليوسف... بينما عادت الذكريات بيوسف إلى ذلك اليوم و إلى ما كان ينوي القيام به لنور... شعر بألم شديد و هو يتذكر فظاعة تفكيره و لم يستطع أن يبقى مع جهاد في تلك اللحظة لأنه كان نادم و خجل من نفسه كثيرا...و لذلك اعتذر منه و غادر إلى المنزل و بقي تلك الليلة يساور ذكرياته و الندم يكاد يتمكن منه...

و في الصباح استيقظ على صوت في غرفته: يوسف ...

فتح عينيه ... فلاح له جهاد مبتسم : السلام عليكم... صباح الخير...

تذكر يوسف نظرة جهاد و دموعه في ذلك اليوم... فرد عليه: و عليكم السلام...

ثم استدار بوجهه للجهة المقابلة...لاحظ جهاد على تعابير وجهه ذلك المزيج بين الندم و الخجل و فهم ما يدور بعقله فقال له: ما الذي جرى لك؟

-لا شيء...

-أنا أفهمك...يجب عليك أن تنسى كل ما حدث لتستطيع مواصلة حياتك كما تريد...

-لا أستطيع...

-بلا تستطيع...إنسى ما قام به دانيال أنت الآن يوسف...

- و هل تستطيعون أنتم نسيان ذلك؟

-بالتأكيد نحن نسيناه ... لأننا نسينا دانيال...

-هل يمكن أن تسامحوني حقا؟ رغم كل ما فعلته...

-لا يمكن أن نكون مسلمين جيدين إن لم نسامح...لأكون صريحا معك...لو حدث أمر في ذلك اليوم لا قدر الله ما كان يمكننا أن نسامحك لكن حمدا لله مر الأمر بسلام... و يجب علينا أن ننساه...

- و هل ستنسى هي كل ما فعلته معها و هل يمكنها أن تسامحني؟

-لو كنت تعرف نور جيدا لما سألت هذا السؤال...

-هي تكرهني بشدة...

-نور تكره دانيال و ليس أنت...

-ما الفرق...

-الفرق أن نور لا تكره الأشخاص بل تكره طباعهم... إذا كانت طباعك قد تغيرت فستتغير معها مشاعر نور...

-أنا حقا أتمنى ذلك ...

-لا تقلق...حسنا قم الآن... أمامك أمورا كثيرة لتقوم بها...

-ماذا؟

-ليس سهلا أن تكون مسلم جيد...يجب أن تتعلم الكثير من الأمور و لكن الأهم أن تجهز نفسك للتضحية بأشياء كثيرة في هذه الدنيا الزائلة لتضمن الحياة الأبدية...

-سأبذل جهدي...

-لا تقلق...بعد فترة قصيرة سترى أنك ستجد متعة كبيرة في حياتك الجديدة...و ستشعر براحة شديدة فيها و أمان...

و بدأ يوسف حياته...و بدأ يجتاز الاختبارات في سبيل أن يتمكن من الالتزام بالإسلام .

...و كان أول اختبار له هو أول رمضان في حياته الجديدة...و لكنه صبر و تجاوزه من دون أن يضعف...و بدأ رحلته في فعل الخير للجميع... و الصدقات...سافر إلى تونس لأول مرة و قام بتأسيس شركة للملابس و وفر مواطن عمل ل3000شاب و شابة...و خصص الأعياد في توزيع الملابس الجميلة للفقراء و المحتاجين...و كان سعيدا بذلك كثيرا...لقد تغيرت حياته و اكتشف أن كل ما قاله علي صحيح...فكان يزوره كل أسبوع في قبره و يحدثه عن كل ما حدث معه... و لم يزل يوسف منذ ذلك الحين يتعلم من جهاد كل شيء...جهاد الذي كان سعيدا بفعل ذلك و قد وجد نفسه يزداد قربا من الله و هو يعلم يوسف ذلك ...فتعلم ترتيل القرآن..و خصص شهرا من كل سنة يقضيه يتعبد في المسجد...و لم يترك قيام الليل... لم يشعر أنه قادر على مسامحة نفسه على ما فعله...في كل مرة يتذكر ذلك الفيلم الذي عرضه للطلاب و في كل مرة يبكي كثيرا و يطلب العفو من الله...في صيف تلك السنة سافرت نور إلى تونس لزيارة أقاربها و قد كانت مشتاقة لهم أما جهاد لم يستطع ذلك بسبب العمل...و لم يستطع أن يضيع عليه شهر الإجازة لأنه أراد أن يخصصه لزواجه من فرح...فقد أراد أن يتزوج في تونس...

في تلك الليلة كان جهاد يتكلم مع نور بالسكايب عندما دخل يوسف على جهاد..و عندما أدرك ذلك تأسف و هم بالخروج و لكن جهاد أوقفه و طلب منه البقاء...كانت تلك أول مرة تراه نور بعد أن تغير..كانت مستغربة جدا من كل ذلك التغير...تذكرت كل ما حدث فشعرت بالانزعاج...و لكنها تداركت نفسها و قالت:لم يحدث شيء و الآن بعد أن تغير يجب علي أيضا أن أغير فكرتي تجاهه...لا يجب أن أترك مكانا للحقد داخلي...

أما يوسف فلم يكن ينظر للشاشة ...بدا عليه جدا أنه متوتر...كان من واجبه أن يعتذر و لكن لا يعلم كيف...و لكن كل تلك الفترة التي بقيها مع جهاد جعلته قادرا على فهمه و جعلت صداقتهما قوية...و لذلك عندما فهم ما يجول بخاطره قال لنور:أظن أن يوسف يريد أن يخبرك بأمر...

تفاجئ يوسف لسماع ذلك و لكنه تشجع عندما فسح له جهاد المجال فتقدم نحو الشاشة و لم يرفع عينيه و قال لها:سلام عليكم...قد تكون أخطائي كثيرة بحقك لكن أرجوا أن تستطيعي مسامحتي في يوم ما...أنا آسف على كل شيء...

كانت نور تستمع إليه و لا تكاد تصدق ذلك و لكنها قالت في نفسها:سبحان الله...ثم ابتسمت و قالت له:و عليكم السلام ...لا بأس لقد سامحتك...إذا كان الله يسامح الجميع فمن أنا لكي لا أسامحك...

عندها تذكر علي و عندما قال له هذه العبارة...لمعت عيناه ثم ابتسم و قال لها:شكرا لك...

ثم تنحى جانبا و عاد جهاد يتحدث معها...

و مرت 4 سنوات...لم يتوقف خلالها يوسف عن فعل الخيرات و لم ينسى علي أبدا...كانت حياته تسير على شكل جيد...حتى والدته اعتنقت الإسلام بعد أن رأت التغيير الذي حدث لولدها...كانت سعيدة جدا عندما يحمل يدها و يقبلها و يقول لها:سامحيني على كل مرة أتعبتك فيها...و كان أشد سعادة عندما اعتنقت هي الإسلام...

و في كل ليلة يجلس يوسف يتأمل كثيرا في ذلك الخاتم الذي اختاره...دائما ما ينتظر اللحظة المناسبة ليقوم بتلك الخطوة...دائما ما يسأل نفسه هل سيكون ذلك الأمر ممكن بعد كل ما حدث؟ فيتذكر كلماتها و هي تقول له: أنت تزعجني..أنا أكرهك بشدة...فيحزن و يفكر أن الأمر مستحيل.... لكنه يعود و يتذكر كلمات علي و يقول:سأصبر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا...و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم...

ثم ينام...و كله أمل أن ذلك سيتحقق...و ستقبل نور به...رغم ما فعله...

كان على موعد مع جهاد للذهاب إلى المسجد لحفظ القرآن معا...سار إلى منزل جهاد و لكن فاجأه صوت نور تتحدث مع جهاد و هي سعيدة:إنه يريد أن يتقدم لي...سأوافق و سأعود للعيش في تونس...أنا سعيدة جدا...

و كان جهاد يقول لها:أنا سعيد لأجلك أخيرا ستذهبين لبيت زوجك و سأرتاح منك...

كان جهاد قد تزوج و لكنه لم يترك نور أبدا و لم يجعلها تشعر بنقص اهتمامه بسبب مسؤولياته الزوجية و حتى بعد أن أصبح له ابنة صغيرة اسمها هاجر استطاع التوفيق بين محبته لنور و لفرح و لابنته الصغيرة...

سمع يوسف ما قالته نور...فتمكن الحزن من قلبه...و لكنه اختار أن يصمت...و مع ذلك لم يستطع جهاد أن لا يلاحظ حزنه...و لم يستطع أن يسأله...

في فجر اليوم التالي كالعادة مر جهاد بيوسف ليذهبا معا للصلاة في المسجد...في غرفة يوسف عندما كان يوسف يرتب غرفته سقطت علبة صغيرة لم ينتبه لها... و رآها جهاد كانت قد انفتحت و سقط منها خاتم...فأخذهما و قدمهما ليوسف... و عندما رآه يوسف أخذ الخاتم و وضعه في العلبة و قد بدت عليه علامات ارتباك...و قد زاد جهاد من ارتباكه بسؤاله: هل ستتزوج ؟

-لا يبدو أن ذلك قد يحدث قريبا...

-و لماذا هذا الخاتم إذا ؟

-من كنت أنويها زوجة قد سبقني غيري إليها... لكن لا بأس...لن آخذ إلا نصيبي الذي قدره الله لي...

-أجل...

عندما كانا يسيران متجهان نحو المسجد...التفت جهاد نحو يوسف وقال له:اصدقني القول ...هل كنت تريد نور ؟

تفاجئ يوسف من ذلك فخفض رأسه و لم يجبه...فوضع جهاد يده على كتفه و قال له:أنا آسف...

فالتفت يوسف إليه و قال:لماذا ؟ هذا قدري و لا يجب أن تتأسف على شيء...أنت لك فضل كبير علي و أنا لا أستطيع أن أرده إليك...فشكرا لك...أرجو أن يجازيك الله على ذلك...

و مرت أشهر...انقطعت فيها أخبار نور عن يوسف...و ككل مرة سافرت نور في الصيف إلى أقاربها...و مر ذلك الصيف و مرت بعده أشهر أخرى...و في ذات يوم جاءت سيرين إلى يوسف و قالت له:لقد كدت تبلغ ال27 سنة من عمرك و لازلت أنتظر أن أفرح بزواجك...فماذا تنتظر ؟

تذكر يوسف نور و تنهد و أجابها:لم أجد الفتاة المناسبة بعد يا أمي

فقالت له:أنا وجدت لك فتاة تناسبك كثيرا و ستعجبك فقط عليك أن توافق...

فدهش و قال لها:أنا لا أستطيع ذلك يا أمي أرجو أن تفهميني...

-كنت دائما أتفهمك و أسمح لك أن تفعل ما يحلو لك و لكن هذه المرة الأولى التي أطلب فيها منك شيئا و أريدك أن توافقني لأول مرة...

شعر يوسف بالأسف لما سمعه...لقد كان كلامها صحيح فهو لم يقدم لها شيئا في حياته...فتنهد و قال:هل سيجعلك هذا سعيدة...

-أجل و سيجعلك أنت أيضا سعيدا...

-لا أظن ذلك و لكن لا بأس فما يسعدك يسعدني...

بعد ثلاثة أيام...ذهب جهاد لزيارة أهله و قام بدعوة يوسف و ذهبت معه والدته...كانت العائلتان مجتمعة حينما تكلمت سيرين و قالت:لقد جئت هنا لخطبة ابنتكم نور لابني يوسف...

في ذلك الحين تفاجئ يوسف كثيرا...و لم يسيطر على نفسه و قال لها:ما الذي تقولينه يا أمي...نحن لم نأتي لأجل ذلك...

و انتبه إلى أن قسمات العائلة هادئة و لم تتفا جئ من كلامه... فتنفس و قال:إنها لا تريدني...لا يمكنها أن توافق على ذلك...

كان مرتبكا جدا لم يعلم ما يقوله...عندها التفت إليه جهاد و قال له و هو يضحك:ما الذي أصابك يا رجل...اهدأ...

لم يكن يوسف يفهم شيئا...في تلك اللحظة انتبه على أن نور كانت قادمة و معها فرح...جلست بجانب والدتها...في ذلك الحين قالت سيرين ليوسف:هل تريد أن تتزوج نور...

كان يوسف متوتر و قال:لكن هي... فأوقفته و قالت له:أجب نعم أو لا...

شعر بخجل شديد و لكنه لم يستطع أن يخفي أكثر من ذلك فقال:نعم...

و قالت مها لنور:هل أنتي موافقة على الزواج من يوسف...كانت صامتة و تبدي على وجهها علامات غير مفهومة و بعد لحظات صمت قالت:نعم..بعد ذلك قرر العائلتان تركهما معا في تلك الغرفة ليتحدثا قليلا ...

كانا جالسان بعيدان عن بعضهما...و كان يوسف متوترا كثيرا...و هي لم تتكلم أبدا...لم يستطع النظر إليها و قال لها:أعلم جيدا أنك لا تريديني...و لا أعلم كيف أجبروك على الموافقة و لكن إذا أردتي فسأتصرف و أنقذك من هذا الزواج...

صمتت للحظات ثم قالت له بصوت مختلف عن صوتها عندما وافقت :لا يمكن لأحد أن يجبرني على شيء لا أريده على الأقل ليس مثلك...

فالتفت متفاجئا من حديثها و سألها :ماذا يعني هذا ؟...

كانت على وجهها علامات و كأنها تحاول إخفاء خجلها:أنا وافقت على هذا الزواج بإرادتي و لم يجبروني...أما أنت فقد أجبروك على ذلك...

لم يتمالك نفسه و أجابها بسرعة:لم يجبروني ظننت أن أمي كانت تتحدث عن فتاة أخرى..لكنني حقا حلمت بالزواج بك منذ سنوات...

شعرت نور بالخجل من ردة فعله و قالت له و هي تخفض رأسها:إذا لماذا لم تتقدم لي...

-لأنني خشيت أن ترفضي بعد كل ما فعلته معك...قال ذلك و قد مالت ملامحه إلى الحزن و بدا أنه يتذكر كل ذلك و واصل:ثم علمت أنك ستتزوجين... و لهذا ظننت أنه لا مجال للوصول إليك أبدا...

-معك حق...لا أعلم إن كنت سأوافق عليك لو تقدمت لي حينها...و بعد ذلك تقدم لي ابن صديق والدي الذي يعيش في تونس ففرحت كثيرا لأنني ظننت أنني سأعود للعيش هناك إذا ما تزوجته و لكن صدمت عندما عدت لتونس أمسكته بالجرم المشهود يحدث أخته بأنه سيتزوج بي فقط من أجل الحصول على رخصة السفر لبريطانيا و أنه سيتركني بعد ذلك و يعود لخطيبته الأولى...لم أتحمل ما سمعته حينها لذلك صعدت الطائرة فورا و عدت إلى لندن...

كان يوسف يستمع إليها متفاجئا مما حدث أما هي فقد دمعت عينيها و هي تتحدث فمسحت دمعتها ثم ابتسمت و واصلت كلامها:عندما أخبرت جهاد بما حدث انزعج كثيرا و لكن بعد ذلك أبدى سعادة بعدم تمام هذا الزواج...ثم

بدأ يحدثني عنك كثيرا و عن كل شيء قمت به...كنت سعيدة بذلك إلى أن أخبرني برغبتك في الزواج بي ففكرت في الأمر كثيرا رغم كل شيء فلا أظن هناك شخص أفضل من ذلك الذي يتوب عن أخطاءه بصدق و بعد ذلك لم أتردد و أخبرت أخي أنك لو تقدمت لي فسأوافق ففرح كثيرا و قد زادت فرحته من طمأنينتي لأن أخي يثق بك كثيرا و أنا أعلم أنه لا يحوز ثقة أخي إلا من يستحقها... ثم حضروا هذه المفاجأة من أجلك...لم أكن أريد أن يحدث هذا أردت أن تكون الأمور عادية و لكن جهاد أصر على هذا المقلب...

فضحك و قال:هذا أجمل مقلب في حياتي...

فاحمرت نور خجلا و ابتسمت...

مر شهرين من الخطوبة فاكتشف يوسف جانبا من شخصية نور...الجانب المرح الذي جعل الضحكة تعود إليه ثم تزوجا و كان أسعد يوم عليه عندما تمكن من نزع حجابها عنها دون أن يرى نظرة الحقد في عينيها ...كان سعيدا بجمالها الذي لم يتوقعه و قال في نفسه: فعلا إنها جوهرة غالية ... و كان سعيدا جدا بعلاقته بها دون أن يكون هناك حاجز بينهما...لأن تلك لذة الرزق الحلال اما نور فقد وجدت مشاعر الحب تتسلل إلى داخلها نحو يوسف و يشتد تعلقها به يوما بعد يوم فهو قد قدم لها اكثر مما كانت تحلم به فمن كان يعلم أن تلك العداوة قد تنقلب كل هذا الإنقلاب و تصل لدرجة أن تثمر فتاة صغيرة جميلة تحمل مزيجا بين عيني نور و نظرات يوسف بين مرح نور و طيبة يوسف بين ثقة نور و أمل يوسف نعم إنها ساجدة ثمرة هذه

الحكاية ولدت لتزيد الحب حبا و تزيد الشمل جمعا و تغمر البيت فوق الفرح فرحا ...

تمت بإذن الله

هذا الكتاب منشور في